خيانات

الحزب الشيوعي السوري

تأليف :
محمد علي الزرقا
الياس مرقص



خيـــانات

الحزب الشـــيوعى الســـورى

تاليف

محمد على الزرقا

الياس مرقص

مقدمة

ليست دراسة تاريخ الحزب الشيوعي عملا سهلا . فالمعروف انه لم تصدر أية محاولة جدية من هذا النوع حتى الآن . فبامكاننا ان نؤكد اذن ، أنه لم ينشر حتى الآن ، أي بحث جدي عن تاريخ الحزب . وان قيادة الحزب نفسها لم تصدر أية محاولة ولو جزئية ، عن هذا الموضوع ، بل تحاشت على الدوام « النظر الى وراء » .

هذا أمر يبعث بحد ذاته ، على الدهشة والاستغراب . اذ أن الاحزاب الشيوعية في العالم تعمل على نشر وثائق تاريخها ، ولا سيما مؤلفات قادتها . أما في سوريا ، فقد ظلت أهم «مؤلفات» خالد بكداش محرمة على أعضاء الحزب وأصدقائه وعلى جماهير العمال والفلاحين. مثلا ، ان جميع أعضاء الحزب - باستثناء بعض أعضاء قيادته القدامى - لم يسمعوا بمؤلف خالد بكداش « العرب وأبحاث ستالين في المسألة الوطنية » (« طريق الاستقلال » الصادر عام ١٩٣٩) ، رغم أهمية هذه الدراسة من الوجهتين النظرية والسياسية على السواء . أما التقرير الشهير « لاجل النضال بنجاح في سبيل السلم والاستقلال الوطني والديمقراطية» الصادر في العهد السري عام ١٩٥١ ، فقد أعيد طبعه سنة ١٩٥٥ ولكن بعد أن جرد من أهم وأخطر ماجاء فيه وبعنوان جديد« حزب العمال والفلاحين » .

واذا ما استشهد أحيانا «مفكرو» زمرة خالد بكداش ،

ببعض أقوال قديمة لرئيسهم ،فذلك يكون فى معرض الدفاع عن أفكاره وتبرير مواقفه • اذأن غرض هؤلاء الاول والاخير ، هو اقامة الدليل ، على أن خالدبكداش ، كان يؤمن بالقومية العربية ويهاجم الصهيونية ،منذزمن بعيد ، وان خطة خالد بكداش وزمرته ، كانتصحيحةعلى الدوام •

**

وهذه الدراسة التى نقدمهاللقارىء العربى ليست دراسة كاملة ـ فالدراسة التفصيليةالكاملة ، تحتاج الى مجلدات ـ ولكنها على كل حال ، تتناول جميع القضايا الرئيسية فى مختلف مراحل تاريخ الحزب •وهى تعتمد بشكل عام على المستندات الحزبية « مؤلفات »خالد بكالدش ، ومقالات صحف الحزب الرسمية •

الفصـــل الأول

المرحــلة الاولى : « الفجــر الاحمر »

(١٩٢٤ ـ ١٩٣٦)

متى تأسس الحزب الشيوعي في ســـوريا ولبنان ؟ من هــم مؤسسو الحزب ؟ المؤتمر الاول للحزب • اللجنة المركزية الاولى في الحزب • موقف الحزب من الثورة السورية الكبرى • اعتقال اللجنــة المركزية • دخول خالد بكداش الحزب • انتصار خالد بكداش على مناوئيه • سياســة الحزب في فترة ١٩٣١ ـ ١٩٣٥ • محاربة الدســـتور والجمعيــة التأسيسية •

ان دراسة الخطوات الاولى في تاريخ الحزب تطرح مسائل عديدة: أهمها مســألة تأسيس الحــزب ومســألة انتصـــار قيادة خالد بكداش •

ومن الامور المتعارف عليها أن زمرة خالد بكداش لم تفعل شيئا لتسهل دراسة هــذه المسائل ، بل على العكس عملت على زيادتها غموضا وتشويشا • لذلك فنحن مضطرون في مثل هذه الدراسة المقتضبة الى الاكتفاء بنظرة سريعة عن هذه المرحلة لابراز أهم مافيها •

**

يعتقد كثير من الناس أن الحزب الشيوعي موجود في بلادنا منذ ســـنة ١٩٣٠ • والمســؤولون الحزبيو ن يبذلون جهدهم لتثبيت هذا الاعتقاد ، كي يربطوا نشوء الحزب بظهور خالد بكداش وكي يسدلوا الستار على بعض الاشياء غير السارة • وهــذا هو مغزى ماورد في عدد «الصرخة» اللبنانية الصادر بتاريخ ١٩ـ٩ ـ ١٩٥٤

ولكن هذا القول غير صحيح، تدحضه المصادر الحزبية القديمة • فقد جاء في العدد الاول من جريدة «صوت الشعب» الصادر في ١٥ أيار ١٩٣٧ :

« ان صوت الشعب هي صوتك ، صوتك الرنان الداوي منذ ١٧ عاما » .

وهذا يعني أن الحزب موجود منذ سنة ١٩٢٠ ! ولكن هذا الكلام أيضا يفتقر الى الحجج والبراهين . ولسنا ندري كيف تبرره جريدة صوت الشعب . فهل يعتبر شاوي وبكداش أن حزب « سبارتاكوس » التقدمي الارمني (١) هو الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ؟

ومهما كان الامر ، فهذا القول يتعارض مع ما جاء في تقرير نقولا شاوي سنة ١٩٤٤ حول « استقلال الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني ، حيث تحدث عن « حزبنا الشيوعي خلال العشرين سنة الاخيرة » (ص٦) ، كما يتعارض مع الخطاب الذي ألقاه خالد بكداش باللغة الفرنسية ، في قاعة فندق نورماندي بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٤٤ والذي نشر بعنوان « الميثاق الوطني للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان » مطبوعات دار صوت الشعب باللغة الفرنسية . وقد جاء في هذا الخطاب أن الحزب له خمسة عشر عاما من العمر (ص٢٦) ، أي أنه موجود منذ عام ١٩٢٩ . ويتعارض أيضا مع الخطاب الذي القاه خالد بكداش في مكتب الحزب بدمشق بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٨ ، حيث قال :

« وليعذرنا اخواننا الكتلويون اذا قلنا لهم ان حزبنا وجد قبل أن توجد الكتلة الوطنية كهيئة سياسية . فقد نشأت الحركة

---

(١) تأسس هذا الحزب في سنة ١٩٢٠ على يد ارتين مادويان وآخرين . وقد استعار اسمه سبارتاكوس (وهو اسم عبد ثائر ومصارع شهير في تاريخ روما) عن عصبة سبارتاكوس الالمانية (١٩١٦-١٩١٨) التي أصبحت في سنة ١٩١٨ نواة الحزب الشيوعي الالماني ؛ ولم يكن مادويان يتصور آنذاك الموقف الذي سوف يتخذه ستالين من روزا لوكسمبورغ زعيمة عصبة سبارتاكوس الالمانية . . . (المؤلفان)

الشيوعية فى بلادنا منـــذ عام ١٩٢٤ » (صوت الشعب ،العدد ١٣٧ ، ٩ نيسان ١٩٣٨) .

وهذه المتناقضات بحد ذاتها تبعث على الدهشة والاستغراب. فهل يجهــل قادة الحزب تاريخ نشوء الحركة الشيوعية وتأسيس الحزب الشيوعي ؟؟ أما القــول بأن «الحزب الشيوعى السورى» تأسس فى سنة ١٩٣٠ ، فهــو قول مرفوض أصــلا لان الحزب تنظيم واحد فى سوريا ولبنان. ومن المستحيــل ربط تأســيسه بخالد بكداش .

أجل ! ان الحزب الشــيوعى أقدم من الكتلة الوطنية كما يقول خالد بكداش . فقد تأسس فى لبنان سنة ١٩٢٤ . وكان أول من ســاهم فى تأسيسه يوسف يزبك وفؤاد شمالى ونفر قليــل بحضور جوزيف برجيه مندوبا عن الاممية (الكومنترون) .

ونشأت خــلايا الحزب الاولى فى بيروت وبكفيا والشياح وزحلة والشــوير والخنشــارة . وكان اول عمل قام به الحزب الشيوعى احتفــاله بأول آيار ١٩٢٥ فى سينما كورسال ببيروت .

وفى السنة ذاتها أصدر فؤاد شمالى جريدة « الانســانية » ، وهى أول جريدة شــيوعية فى البلاد السورية ـ اللبنانية وصدر منها خمســة أعداد فقط ، ثم عطلتها السلطات .

وفى هذه السنة أيضا أعيد تنظيم الحزب . فقد انضم اليه أرتين مادويان وأعضــاء حزب سبارتاكوس الارمنى الذى كان يرأسه مادويان . وتألفت لجنة مركزية مؤقتة من خمسة أعضاء: الياهو تبر اليهودى الذى قدم من فلسطين ، ســكرتيرا عاما ، وارتين مادويان ، أمين صــندوق الحزب ، وهيكازون بوبادجيان، ويوسف يزبك ، وفؤاد الشمالى

وفى تموز ١٩٢٥ ، حصــلت مظاهرة للمستأجرين فى ساحة البرج ببيروت واصــطدمت بالشرطة فسقط عدد من القتــلى

والجرحي • وبدأ الحزب يطبع نشراته على الجيلاتين ويوزعها على فروعه •

وانعقد المؤتمر الوطني الاول للحزب في بيروت بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٢٥ ، وصدرت وثائقه باللغات العربية والفرنسية والارمنية ـ وانتخب المؤتمر لجنة مركزية مؤلفة من ٧ أعضاء بينهم أرتين مادويان وهيكازون بو.'.يـان ويوسف يزبك وفؤاد شمالي وايليا هو تيبر الذي انتخب سكرتيرا عاما للجنة المركزية •

**

وفي سنة ١٩٢٦ ، اعتقلت اللجنة المركزية ، وأحيلت الى المحكمة العسكرية بتهمة تحريض الجيش والشعب على العصيان • وأبعد ايليا هو تيبر وزو بابند الى فلسطين ونفي القادة الآخرون الى أرواد والقدموس والرقة حيث قضوا سنتين •

**

وأطلق سراح المعتقلين في سنة ١٩٢٨ ، وعاد الحزب الشيوعي الى العمل من جديد • وكان نشاطه يتركز على تأسيس منظمات جديدة واصدار بعض النشرات والكراسات • وأصدر في تلك الفترة جريدة أسماها « الفجر الاحمر » • وانتقل الحزب الى دمشق حيث كان أول المنضمين اليه أحمد ظاظه وفوزي الزعيم ورشاد عيسى وخالد بكداش قوطوش •

وكان أهم ما يميز تاريخ الحزب في المرحلة الجديدة (١٩٢٨ ـ ١٩٣٦) هو الصراع حول القيادة • الا أن هذا الصراع ، رغم الفترة الطويلة التي استغرقها ، لم يخلف أي

أثر كتابى نستطيع من خلاله أن نتبين المقـــومات الفـــكرية أو السياسية أو التنظيمية التى كان يدور حولها أو أن الآثار الكتابية قد أعدمت • وهـكذا يتعذر على المؤرخ العلمى أن يحكم على حقيقة هــــذا الصراع ومـــدى الاثر الشخصى فيه •

والمعروف أن هذا الصراع قد أسفر فى سنة ١٩٣٢ عن انتصار زمرة خـالد بكـــداش ـ أرتين مادويان ـ رفيق رضا •

**

وأصبح خالد بكداش قوطرش زعيم الحزب

فما هى السياسة التى سار عليها الحزب فى ظل القيـــادة البكداشـــية فى فترة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٥ ؟ ماهى الحوادث البارزة فى تلك الفترة ؟

لقـد كان الحزب سريا ••• ويمـكن القول أن خالد بكداش قد حكم بالاعدام على الوثائق التى قد تدينه • وتصـور أنه حقق رغبته ••• الى أن تكلم رفيـق رضا نفسه عضو قيـادة الحزب منذ عام ١٩٣٢ •

اليكم ما يقوله رفيق رضـــا (رأفت) عن تلك الفترة :

« لقـد شـهدت أولا فى عام ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ انتفاضة سورية العربية الباسلة على المستعمرين الفرنسـيين يوم أرادوا تكبيـل الدستور الذى سنته الجمعيـة التأســيسية آنذاك وقـد أراد المفوض السـامى أن يدخل فى صلبه مادة تجعـل منـه الحاكم المسيطر على مقـدرات سـورية فتكون له الكلمة الاولى فى تعطيل أحكامه وثارت ثائرة البـلاد على فرنسا وضغط الشعب على نوابه

ليرفضوا طلب المندوب السامي وسقط الشهداء في شوارع دمشق وحمص وحماه وحلب ولم يجد المفوض السامي الفرنسي بدا من تعطيل الدستور وحل الجمعية التأسيسية وعندئذ اشتدت مقاومة الشعب وعمت تظاهراته الوطنية جميع الاحياء والساحات والشوارع استنكارا لموقف الاستعمار الفرنسي ٠

وفي هذا الجو الوطني اللاهب وفي الوقت الذي استباح فيه الفرنسيون كرامة الامة وانتهكوا قدسية ارادتها ، كانت قيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان تنادي في نشراتها وبما كانت تخطه أيدي أعضاء الحزب على جدران شوارع المدن السورية وحتى على جدران البرلمان السوري نفسه :

« فليسقط الدستور ولتسقط الجمعية التأسيسية الخائنة »

بهذه الشعارات وبهذه النداءات المجرمة التي كانت تقوم باجراءاتها فرنسا الاستعمارية كانت تنادي قيادة الحزب في سورية ولبنان ، وكانت فضيحة وطنية كبرى اهتز لها قلب الشعب السوري وأرسل اللعنات على رؤوس قائليها والداعين اليها » (بيان رفيق رضا الصادر في جريدة الجماهير ، العدد ٦٧ ؛ تاريخ ١٣ تموز ١٩٥٩) ٠

ويعود رفيق رضا مرة أخرى الى هذا الموضوع في الكتاب المفتوح الذي وجهه الى القيادة المركزية للحزب الشيوعي في سورية ولبنان ٠ فيكشف عن الصلات مع الشيوعيين اليهود ودور هؤلاء في توجيه سياسة القيادة البكداشية :

وفي عام ١٩٣١ ـ ١٩٣٤ ، والى مابعد عام ١٩٣٤ ، كنتم على أحسن حال مع الشيوعيين اليهود وكنتم تبادلونهم ودا بود ، وتتبادلون معهم البعثات ، وتشركونهم في بحث سياستكم وأوضاع بلادكم ٠ وقد أرسلتم فرج الله الحلو الى تل أبيب ليستطلع رأي الشيوعيين اليهود في خطة حزبكم ٠ ثم استقدمتم الى بيروت الشيوعي اليهودي « نخمان ليفتسكي » لتستأنسوا برأيه في أحد مؤتمرات الحزب وقد حضر فعلا ، واشترك بأعمال المؤتمر المذكور وأوصاكم أن تعدلوا موقفكم من الاحزاب والجماعات الوطنية في سوريا ولبنان وأن تتشددوا في الحملة عليها . على اعتبار أنها أحزاب انتهازية ، هذا في وقت كان فيه الاستعمار الفرنسي يمعن في بعض هذه الاحزاب اضطهادا ونفيا وتشريدا ٠

ثم كان منكم أيضـا ، بدافع الامانة لوصية نخمان اليهودى ، أن سعرتم نار حملتكم على الجمعية التأسيسية وعلى أعضائهـا • والمندوب السامى الفرنسى يهدد بحلها ويسجن نوابها المعارضين لانهم رفضـوا أن يضـعوا بيده مفتاح سـيادة الامـة ومقاليـد أمورها ، وهـكذا اسـتويتم والاستعمار على صعيد واحد •

وقبـل « تخمـان » ، كان مستشاركم السياسى « برنمو » وبعد «برنمو» و «نخمان» وفـد عليكم العديد من المسـتشارين اليهود الذين كانت لهم الكلمـة الاولى فى سياسة حزبكم وهؤلاء جميعا حمـلوا اليـكم الامـوال الاجنبية ونقلوا اليكم التوجيهات الاجنبية • (جريدة الجماهير ، العدد ٦٩ ، ١٥ ـ ٧ ـ ٥٩)

هـذا كل مانعلمه عن تلك الفترة : سياسة انتهازية يسارية مخربة ، هجوم عنيف على الحركة الوطنية والصاق شتى الاتهامات لهذه الحركة ، تسقيط الدستور والجمعية التأسيسية ، اتصـال مستمر بالعناصر اليهودية ، قبض الاموال من الخارج •

ذلك هو سـلوك القيـادة البكداشـية حتى عام ١٩٣٥ ، كما عرضه أحد أفراد هذه القيادة

وبعد هـذا التاريخ ، تحولت الامور • وأصبح بالامكان متابعة تاريخ الحزب بسـهولة نسبية وبالاعتماد على نصـوص خالد بكداش نفسه • فقد غدا الحزب علنيا بعد انتصار الجبهة الشعبية فى فرنسا عام ١٩٣٦ • وأصدر أول جريدة علنيـة له ، جريدة « صـوت الشعب » ومن غريب الصـدف أن الحزب الشيوعى السورى اللبنـانى قد درج على استعارة أسماء الصحف الحزبية فى البلاد الاخرى فاستعمار فؤاد شمالى اسم صحيفة الانسانية ، عن الحزب الشـيوعى الفرنسى واستعار بكداش اسم « صوت الشـعب » (كول هاعام) عن الجريدة العبرية للحزب الشيوعى

الفلسطيني (١) ... كما استعار بعد ذلك اسم « النور » عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي أيضا ، اذ كانت صحيفته في عام ١٩٣٤ تحمل نفس الاسم - وهذه العادة ان دلت على شيء فانما تدل على تغلغل روح التبعية في التوافه والشكل بنفس المستوى الذي تتغلغل فيه بالنسبة للافكار والشعارات •

---

(١) كما أصدر الحزب الشيوعي العراقي في أوائل - آب ١٩٥٩ جريدة تحمل نفس الاسم • (المؤلفان)

الفصـــل الثـــانى

((العهـــد الوطنى))

(١٩٣٧ ـ ١٩٣٨)

ـ ١ ـ

السـياسة العـامة للحـزب

النضال الوطنى فى سوريا ومعاهدة ١٩٣٦ • اللجنة المركزية للحزب تؤيد المعاهدة • خالد بكداش يطلب الانضمام للكتلة الوطنية • بكداش يؤكد تصديق المعاهدة ويلوم البرجوازيه الوطنية على تشككها • لماذا لم تصدق المعاهدة ؟ تركيب الجبهة الشعبية فى فرنسا • كيف يفهم بكداش مصلحة «الامة السورية» بكداش يقرر انتهاء النضال الوطنى ويهدد حكومة دمشق بحكومة باريس •

**

منذ أن وطأت أقدام الغزاة الفرنسيين أرض سورية استقبلهم الشعب بنضال غير متكافىء ، اتخذ أشكالا مختلفة، كانت تنبثق من تطور سورية التاريخى ومن حاجاتها النضالية، الا أنه لم يهدأ ولم يتوقف لحظة واحدة بل استمر وتطور على الدوام حتى حقق النصر فى سنة ١٩٤٦ •

وكانت أبرز اشكال هذا النضال الثورات المسلحة ـ ثورة الشيخ صالح العلى (١٩١٩ ـ ١٩٢١) وثورة ابراهيم هنانو (١٩٢٠ ـ ١٩٢١) والثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) والمظاهرات الجماهيرية والاضرابات الشاملة التى كانت تستمر أشهرا كاملة والتى كثيرا ما كانت تؤدى الى سقوط حكومات الخونة المتعاونين مع الاستعمار . وكل « اصلاح » كانت تجريه فرنسا ، أو تقدم تحققه سوريا ، خلال هذه الفترة الطويلة ، كان ـ بالدرجة الاولى ـ من نتاج هذا النضال العربى الثورى بطبيعته ، فقد كان تراجعا تفرضه القوى الوطنية

على الاستعمار . ولهذا التراجع وجهان فهو بالنسبة للاستعمار مناورة تكتيكية ترمي الى كسب الوقت وتخدير الشعب وحشد القوى الاستعمارية للقيام بهجوم جديد لاعادة سلب الحقوق الزهيدة الممنوحة . اما بالنسبة للقوى الوطنية فهو انتصار جزئي يجب استثماره لتعزيز الحركة الوطنية وحشد قواها للمعارك القادمة .

فمعاهدة ١٩٣٦ كانت انتصارا جزئيا للشعب وتراجعا جزئيا من قبل الاستعمار ، وهذا الانتصار وهذا التراجع هما ثمرة نضال بدأ منذ عام ١٩١٩ وبوجه خاص نتيجة لحركة الاضرابات الشاملة الثورية فى فترة (١٩٣٤-١٩٣٦) . ان نضال الشعب العربى هو العامل الاساسي الاول ، اما انتصار القوى اليسارية فى فرنسا سنة ١٩٣٦ فيأتى فى درجة ثانية .

واذا كنا نعيد الى الذاكرة هذه الحقائق التى لا ينكرها احد اليوم فلأن ذلك ضرورى بالنسبة للموضوع الذى نعالجه الآن وهو سياسة قيادة الحزب الشيوعى السورى فى مرحلة ١٩٣٦ - ١٩٣٨ .

يقول خالد بكداش :

« لما انتصرت الجبهة الشعبية فى فرنسا ، قام حزبنا بكل ما فى وسعه لاجل تسهيل عقد المعاهدة هنا وفى باريس . وبعد عقد المعاهدة دافع حزبنا عن العهد الوطنى وقاوم أعداءه ، ولعب دورا فى فضح مؤامرات الجزيرة وجبل الدروز والعلويين وغيرها ، ودافع عن مطالب الفلاحين ، وطالب بتشجيع الصناعة الوطنية ، كما أن رفيق رضا مندوب حزبنا فى فرنسا - الذى نأمل ان نراه بعد أيام الى جانبنا - قضى أكثر من سنة فى باريس يعمل ليل نهار لاجل رد حملات اليمين واحباط دسائسها والتعجيل بتصديق المعاهدة . وقد أوفدت لجنتنا المركزية الآن رفقينا فؤاد قازان الى باريس ليتابع ما قام به رفيق رضا » . (خطاب بكداش فى مكتب الحزب بدمشق بتاريخ ٤ نيسان ١٩٣٨ ، صوت الشعب العدد ١٣٧ ، ٩ نيسان ١٩٣٨) .

من الممكن التأكيد أن حجر الزاوية فى سياسة الحزب فى تلك الفترة كان التعاون بين سوريا وفرنسا والمعاهدة السورية - الفرنسية . أن قيادة الحزب (بكداش - رضا - قازان - شاوى - الحلو) لم تأل جهدا فى هذا السبيل فى سوريا وفى

فرنسا . ولسنا الآن فى مجال تحليل هذه السياسة أو انتقادها، بل نحن نعرضها للقارىء على حقيقتها وبالاستناد الى النصوص ونحاول فهمها واستيعابها بالتفصيل .

تلك كانت اذن سياسة الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان . تلك أيضا كانت سياسة أكثرية البرجوازية الوطنية . ويمكننا القول مع الكاتب الحزبى الذى وضع الفصل المتعلق بالحزب الشيوعى والوارد فى كتاب « تاريخ الاحزاب السياسية فى سوريا » الصادر عن دار الرواد فى دمشق عام ١٩٥٤ « ان خالد بكداش بذل العون للوفد السورى المفاوض فى سنة ١٩٣٦ لتقريب وجهات النظر بينه وبين العناصر اليسارية الفرنسية التى كانت ذات نفوذ واسع فى الجبهة الشعبية الفرنسية » (المرجع المذكور ، ص ٢٢٥) .

وفى هذه الحال يمكننا التاكيد ان الحزب الشيوعى السورى لم يتبع سياسة مستقلة تختلف عن سياسة البرجوازية الوطنية اختلافا جديا . ولكن ثمة بعض الفوارق بين السياستين . واول هذه الفوارق ايمان خالد بكداش وزملائه وثقتهم المطلقة بفرنسا الديمقراطية وتأكيدهم بأن المعاهدة ستصدق حتما .

فقد كان يحدث مثلا ان يتسرب الشك الى بعض عناصر البرجوازية الوطنية فى سوريا. فكان خالد بكداش وزملاؤه يلومون هذه العناصر على « تشاؤمها » ويؤكدون للشعب أن المعاهدة ستصدق حتما . ولكى لا يبقى كلامنا معلقا فى الهواء نقدم للقراء بعض الامثلة .

نشرت جريدة صوت الشعب فى عددها الثامن الصادر بتاريخ ٣ تموز ١٩٣٧ مقالا بعنوان «لامجال للحيرة » ، ورد فيه :

« فى المقال الافتتاحى للزميلة القبس بتاريخ ٣٠ حزيران بقلم الاستاذ سامى الشمعة كثير من التساؤل والحيرة والتشاؤم بمناسبة رجوع الوفد السورى من باريس .

فالاستاذ يريد ان يعرف موقف فرنسا الصحيح من المعاهدة حتى يستطيع اتباع الطريق التى تتفق وحقيقة الموقف .

ونحن لا ندرى ما الذى يبعث فى نفس الاستاذ كل هذا التشاؤم والارتباك. فالموقف واضح جدا ! واكثرية الشعب الفرنسى الممثلة فى الجبهة الشعبية ومن أحزاب اليسار الديمقراطية ونوابها تريد

التصديق على المعاهدة .

فالطريق واضحة . اذن يجب أن يكون الشعب السوري متحدا قويا منظما **وأن يظهر فيه صداقته لاصدقائنا الديمقراطيين في فرنسا ويقوي علاقات الاخاء معهم ويشجعهم حتى يؤيدونا في مقاومة طغاة الشركات الاجنبية وصقور المال »** .

ان هذا النص يغني عن التعليقات الطويلة . والقارىء العربي العادي لا يمكنه الموافقة على هذا الكلام لانه يتنافى مع مفهوم النضال الوطني ضد الاستعمار . وهو في ذلك محق كل الحق . الا أن هذا الكلام يتنافى أيضا مع مفهوم الاممية البروليتارية . فتأييد أصدقائنا الديموقراطيين الفرنسيين لنا لا يمكن أن يتوقف على اظهار صداقتنا لهم بل على كونهم ديموقراطيين حقيقيين !

وكتب خالد بكداش افتتاحية في العدد ٩٤ من الجريدة بتاريخ ١٨ شباط ١٩٣٨ تحت عنوان « الم يبق الا الفرار ؟ » يعاتب فيها جريدة الانشاء لانها أخذت تشك بفرنسا .

يبدأ بكداش افتتاحيته هذه بذكر ما ورد في جريدة الانشاء شبه الرسمية بتاريخ بتاريخ ٩ شباط ١٩٣٨ حيث قالت :

« ان هذا الموقف الذي نشعر فيه بأننا نتقيد وحدنا بمقتضيات التحالف ويتردد الفرنسيون في التقيد بها فيغضون الطرف عن فتنة الجزيرة مثلا فتتسع ويتفاقم شرها، في حين أن همسة من المفوض السامي تكفل القضاء عليها ، تقول اما هذا الموقف الحائر من تطبيق المعاهدة بروحها ونصوصها ومن تنفيذ صك التحالف بحروفه فهو موقف يحملنا اذا استمر وتمادى على الوقوف عند الحد الذي بلغنا اليه » .

فينتقد خالد بكداش هذا الكلام بشدة لا لكونه يوهم الناس بأن فرنسا ليست مسئولة عن فتنة الجزيرة ، بل بالعكس لانه « فرار من الميدان » ويطلب الاستمرار في تأييد المعاهدة والتحالف .

وأكدت قيادة الحزب بلسان بكداش ورفيق رضا وفي مقالات صوت الشعب وعناوينها « ان المعاهدة ستصدق رغم انف الفاشست وطغاة المال الفرنسيين » لان « الجبهة الشعبية هي فرنسا نفسها » . وازدادت هذه التأكيدات الكاذبة

بعد قيام حكومة دالاديه الرجعية اليمينية (راجع صوت الشعب تاريخ ٢٢ نيسان ١٩٣٨) .

وفى العدد ١٩٥ تاريخ ٢١ آب، نشر خالد بكداش مقالا آخر بعنوان « برقية من باريس » بنفس الموضوع انتقد فيه بشدة « الصحف التى تشك فى أمر تصديق المعاهدة وتعمل على القاء اليأس والقنوط فى نفس الشعب السورى والقضاء على آخر بارقة أمل فى وقت يحتاج فيه الشعب الى وعيه ويقظته وايمانه واتحاده » !

وكانت بعض هذه الصحف يمينية وذات ميول فاشستية. فكان جدال خالد بكداش معها يساعد فى عمله الرامى الى تضليل الشيوعيين وايهامهم بأن المعاهدة ستصدق وأن النضال على كل حال لا يمكن أن يدور الا حول المعاهدة . فالمعاهدة هى ألف وياء النضال الوطنى .

هكذا كان بكداش وزملاؤه يلومون كل من يشك بأمر تصديق المعاهدة حتى أواخر سنة ١٩٣٨ . ومن المعروف أن المعاهدة لم تصدق مطلقا من قبل البرلمان الفرنسى . فقد كانت العناصر الاستعمارية أكثرية ساحقة فى هذا البرلمان رغم « أصدقائنا الفرنسيين » .

لقد كانت «الجبهة الشعبية» فى فرنسا تكتلا واسعا وغير متجانس يضم ٣ أحزاب هم الشيوعيون والاشتراكيون والراديكاليون . وقد نجحت «الجبهة الشعبية » فى الانتخابات فى أيار ١٩٣٦ . وعلى أثر هذا النجاح ، وبفضل اضرابات ومظاهرات العمال الفرنسيين تشكلت حكومة من الاشتراكيين والراديكاليين برئاسة ليون بلوم وبتأييد الشيوعيين . ولم تحقق هذه الحكومة فى فرنسا نفسها أى اصلاح الا تحت ضغط نضال العمال المباشر . أما فى قضية المستعمرات ، فقد كان برنامجها « استعماريا معتدلا » (!) . فالمعروف أن الراديكاليين من

ممثلى الطبقة البرجوازية ذات العقلية الشوفينية والمصالح الاستعمارية . أما ليون بلوم فهو « استعمارى يتستر باسم الاشتراكية ـ الديمقراطية »(على حد قول خالد بكداش فى جريدة صوت الشعب العدد ١٢٨٠ ، تاريخ ٢٧ ـ ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٦) . ومنذ بداية عهدها ، ارتكبت حكومة ليون بلوم « خيانة فادحة » فى حقل السياسة الخارجية .

ان خالد بكداش كان يعلم هذه الحقائق أكثر من اى شخص كان، اذ قضى فترة طويلة في فرنسا . ورغم ذلك ، فهو يؤكد أن « المعاهدة ستصدق حتما » ويدعو باستمرار الى التعاون مع فرنسا ، « فرنسا الكومون » ، فرنسا « الجبهة الشعبية » ، «فرنسا التى نحبها وتحبنا والتي عقدت معنا معاهدة » . (الكلام لخالد بكداش) .

**

وفى سنة ١٩٣٨ ، ازدادت جرائم الفرنسيين فى سوريا، كما هو معروف . فوجه خاد بكداش كتابا مفتوحا الى المفوض السامى أهم ما ورد فيه :

« نحن نعلم أن كل هذه الاعمال لا تمثل ارادة فرنسا التى نحبها وتحبنا ، فرنسا التى عقدت معنا المعاهدتين ، فرنسا التى أنجبت الجبهة الشعبية ، وصوتت فى ٣ أيار ١٩٣٦ ضد الفاشستية والحرب فى سبيل الخبز والحرية والسلام ! »

(افتتاحية صوت الشعب ، العدد ١٥٥ ، ٥ أيار ١٩٣٨) .

بمثل هذا الكلام الرنان كان خالد بكداش يحاول تضليل الشعب . هذا هو الكلام الذى يوجهه زعيم حزب شيوعى الى ممثل الدولة الاستعمارية التى تستعبد بلاده !

ولكن قد يتساءل القارىء : هل استمر خالد بكداش على هذه السياسة بعد أن سلمت فرنسا لواء الاسكندرون الى تركيا الاستعمارية ؟

سوف نعود الى هذه المسألة . ولكن قبل ذلك ، علينا ان نوضح

موقف خالد بكداش من البرجوازية ومن الكتلة الوطنية .

ان موقف خـالد بكداش من البرجوازية الوطنية كان التأييد على اساس معاهدة ١٩٣٦ والصداقة الفرنسية ـ السورية .

ففي العدد السادس من صوت الشعب الصادر بتاريخ ١٩-٦-١٩٣٧ كتب بكداش مقالا رئيسيا تحت عنوان « كيف تكون الامة صفا موحدا منظما » جاء فيه :

« تشغل الآن مسألة وحـدة الصفوف محلا أوليا فى السياسة السورية .

ويعتقد بعض اخواننا الوطنيين ان المسألة ليست موضوع بحث من الاساس ، فالصفوف كمـا يقولون ملمومة والكلمة موحدة. ولكننا لا نعتقدهم مصيبين كل الاصابة فيما يذهبون اليه. نعم ان الاكثرية السـاحقة **للامة السورية (١)** ، بل الامة السورية كلها (عدا نفر قليل باعوا انفسهم للاستعمار وأصبحوا له أعوانا مباشرين فخرجوا بذلك عن الامة) مجمعة على وجوب العمـل فى سـبيل حقوقهـا الوطنيـة واستقلالها ..

أما الاساس الوحيـد الذى يمكن أن تقوم عليه الآن حسب اعتقادنا وحدة الكلمة فهو : العمل لاجل حماية **العهد الوطنى** الجديد ونجاحه ، بل نحن لا نتصـور أساسا مباشرا لوحدة الصفوف فى المرحلة الحاضرة غير هـذا الاساس .

أما الشكل الذى يمكن أن يتم عليه تنظيم الاتحاد فمسألة سهلة ما دامت الغاية واضحة والنيات خالصة ، ما دام العمل لنجـاح **العهد الوطنى** الجديد رائد الجميع

ولا نعتقد أن بين الهيئـات السياسية وبين اخواننا الزعماء الوطنيين والقواد والمجاهدين من يرفض أن تكون الكتلة الوطنية نفسها شكلا لهذا الاتحاد المنظم فتنضم اليها كل الهيئات والاحزاب والجماعات المجمعة على نجـاح هذا الدور **الوطنى** ، على أن تعين

---

(١) يلاحظ القارىء عبارة الامة السورية . فهل كان ذلـك مجرد « تعبير لفظى » لا يقصد منه مدلول نظرى محدد . أم العكس نعود الى هذه القضية فى حينها . (المؤلفان)

بوضوح وبصورة ملموسة الاهداف والواجبات المباشرة المتفق عليها فتنتظم الجهود لتحقيقها ويتم الاتحاد والتعاون بين الجميع في قلب الكتلة الوطنية نفسها على أساس ديمقراطي صحيح منظم !

وأملنا أن تتضح قريبا هذه الحقيقة أمام اخواننا الكتلويين واخواننا المجاهدين ، فيسود الاستقرار والتنظيم حركتنا الوطنية **وتنصرف البلاد الى العمل المثمر والاصلاح الذي ينتظره الشعب »** .

هذا يعني ثلاثة أشياء :

١ ـ اعتبار العهد الجديد « عهدا وطنيا » .

٢ ـ طلب الانضمام رسميا الى الكتلة الوطنية .

٣ ـ تقرير انتهاء النضال الوطني تحت ستار « الانصراف الى العمل المثمر والاصلاح .. »

وفي العدد ١٣٤ الصادر بتاريخ ٦ ـ ٤ ـ ١٩٣٨ ، كتب خالد بكداش مقالا بعنوان « الشعب يطلب اتحادا وطنيا منظما » جاء فيه :

« وأعلنا أن حزبنا مستعد للانضمام الى الكتلة الوطنية على أساس ديمقراطي لاجل أن تنتظم جهوده مع جهود الاخوان الكتلويين وذلك دون أن يكون لنا وراء ذلك أي مطمع حزبي خاص وأية غاية في الوظائف وماليها .. بما أن الكتلة الوطنية هي الهيئة السياسية التي تستند الحكومة مباشرة على تأييدها في ممارسة الحكم ، فقد يحلو لبعض الدساسين أن يعمدوا الى تضليل الرأي العام ، فيزعمون أن الشيوعيين يطلبون الدخول في الكتلة لغايات حزبية أو لغايات توظيفية يأملونها من الحكومة الوطنية .

وليس اتحاد **الامة السورية** مسألة شعور وعواطف فقط ، فهي مسألة تفرضها الضروريات الاقتصادية والاجتماعية نفسها . فوطأة السياسة الاستعمارية نازلة بكل **الامة السورية** يستعبدها أجنبي ، ويمنعها من بناء كيانها الوطني شرائهم وافسادهم . فمن الوجهة السياسية : كل **الامة السورية** يستعبدها أجنبي ، ويمنعها من بناء كيانها الوطني والتمتع

باستقلالها، فهي كلها اذا متضامنة في محاربة هذا الاستعمار والسعي للاستقلال الوطني .

ومن الوجهة الاجتماعية : **كل الامة السورية** تقاسي أسوأ سياسة الاستعمار ..

فعندما ندعو الى اتحاد **الامة السورية** وتنظيم العمل المشترك في الميدان الوطني فانما نحن واثقون بأننا بالغون هذه الامنية»

هكذا ، كانت سياسة خالد بكداش وزملائه تأييد الكتلة الوطنية وطلب الانضمام اليها .

ولكن ألم يكن لخالد بكداش وزملائه انتقادات يوجهونها الى البرجوازية الوطنية وممثليها وحكومتها ؟ نعم . لقد رأينا مثلا أن خالد بكداش وأعوانه يلومون البرجوازية على تشككها من تصديق المعاهدة وترددها في تأييد التحالف مع فرنسا .

ولكن أهم ما كان يثير انتقادات بكداش وزملائه الملاحقات التي كان يتعرض لها أحيانا بعض أعضاء الحزب . ففي العدد الثالث من جريدة صوت الشعب تاريخ ٢٩ أيار ١٩٣٧ ، تحت عنوان « لا تنسوا وعودكم ! » ورد ما يلي :

« هذه بعض الحوادث المخجلة التي تجري في حلب ونحن نلفت اليها الانظار . . اننا نلفت أنظارهم الى هذه الامور **ونذكرهم بالوعد الذي قطعته الكتلة الوطنية على نفسها في باريس** بلسان السيد هاشم الاتاسي الذي تعهد بأن يكفل الحكم الوطني حرية الكلام والصحافة والاجتماع والنقابات وأن تتمتع بنظام ديمقراطي انساني صحيح .. »

هذا الكلام المخجل معناه تهديد حكومة دمشق بحكومة باريس . وهذا أمر لا يجوز مهما كانت حكومة باريس المنتدبة « ديمقراطية » أو « انسانية » (!) . وهذه المقالات العديدة التي نشرتها جريدة صوت الشعب عن نفس الموضوع في فترة (١٩٣٧ — ١٩٣٨) ، كانت تساعد موضوعيا على تضليل الشيوعيين والشعب وايهامهم بأن لفرنسا رسالة ديمقراطية في سوريا . فالقضية ليست مصلحة حزب بكداش التكتيكية بل هي قضية وطنية مبدئية .

تلك هي الانتقادات التي يوجهها بكداش وأنصاره الى الحكومة . ولكن ما عدا هذه الانتقادات ، كان موقفهم التأييد

الكامل . وبلغ بهم هذا التأييدمحاربة جميع العناصر المعارضة للحكومة واتهامها ـدون تفريق ـبالجهل والخيـانة والتجسس والفاشستية ، ودعوة العمال الى « الهدوء والمحافظة على النظام» و « الابتعاد عن المخاطرات والحركات السابقة لاوانها التى تعكر العهد الوطنى » ، في وقت استبد فيه الجوع بالطبقات الكادحة واستحكمت فيه حلقات الاحتلال العسكرى والاستعمار السياسى والاقتصادى (صوت الشعب ، تموز وتشرين الاول ١٩٣٧) .

وفى تلك الفترة ، كانت زمرة بكداش تمتنع عن كل عمل قد يسيىء الى « العهد الوطنى » ، وكان التعاون على أشده بين الحزب الشيوعى والكتلة الوطنية . ففى العدد ٩٥ من جريدة صوت الشعب الصادر بتاريخ ١٩ شباط ١٩٣٨ ، نجد خبرا عن « تأجيل القاء محاضرة فى حلب » مفاده أن منظمة الحزب فى هذه المدينة كانت تنوى القاء محاضرة فى نادى الحزب ولكنها قررت ارجاءها الى موعد آخر بالاتفاق مع مكتب الكتلة الوطنية « خشية أن يستغل هذه الحفلة أعداء البلاد والرجعيون ويشوهون معناها الحقيقى ويصبغونها بغير صبغتها » .

وهكذا يمكن تلخيص الموقف الذى اتخذه خالد بكداش ودافع عنه بشدة فى جميع مقالاته فى فترة (١٩٣٦ ـ ١٩٣٨) ، على الشكل التالى :

١ ـ تأييد الصداقة السورية ـ الفرنسية ومعاهدة ١٩٣٦ تأييدا مطلقا ـ دون اعتبار لانتقاصها من الاستقلال ومحافظتها فى الجوهر على نظام الانتداب والاحتلال العسكرى ولبقائها رغم كل هذه العيوب خبرا على ورق تنتظر تصديق البرلمان الفرنسى .

٢ ـ تأييد الكتلة الوطنية ، واعتبار العهد الذى فتحته المعاهدة حتى قبل تصديقها من البرلمان الفرنسى « عهدا وطنيا» ،

والدفاع فى جميع المناسبات عن هذا « العهد الوطنى » الذى لعب ـ موضوعيا ـ دورا كبيرا فى تخدير الحركة الوطنية ، فضلا عن انه اتخذ الدولة مزرعة للانصار .

**

وقد أصبح الآن معروفا أن قيادة الحزب الشيوعى السورى ـ اللبنانى قبضت ثمن هذه السياسة من الحزب الشيوعى الفرنسى . واليكم ما جاء فى بيان رفيق رضا بهذا الخصوص :

فى عام ١٩٣٢ وفد الى بيروت عدة مندوبين شيوعيين يهود حملوا مبالغ وافرة من المال الى قيادة الحزب الشيوعى فى سورية ولبنان وأذكر منهم اليهودى أميل وأوسكا ومولر . وقد أبدلت لهم قسما من هذه الدولارات بالعملة المحلية آنذاك . كما وحملت اليهم من باريز عام ١٩٣٨ (٢٥) ألف فرنك فرنسى كان قد قرر الحزب الشيوعى وضعها تحت تصرف قيادة الحزب الشيوعى السورى اللبنانى لتوسيع حملته من أجل اقرار المعاهدة الافرنسية السورية البغيضة ومحاربة الاتجاه الوطنى فى ذلك التاريخ هذا مع العلم أن خالد بكداش كان قد نقل بنفسه مبلغا آخر حين كان فى باريز واشترك فى مؤتمر آرل للحزب الشيوعى الفرنسى » .

ويقول رفيق رضا أيضا :

« ولم تتورع قيادة الحزب عن أن تكون سمسارة لفرنسا الاستعمارية وبوقا لها وداعية من دعاتها . وهنا التقت قيادة الحزب الشيوعى فى خط واحد مع الرجعيين والمستعمرين فاذا

بكارثة لواء اسكندرون تلوح في افق السياسة الدولية واتصلت اسباب خيانة قيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان باسباب اخرى تعاقبت على ارض هذا الوطن الشهيد فتدعي تركيا الى المطالبة باللواء وتقوم فرنسا وانجلترا بدعمها وتأييد مطلبها ويوعز الى ممثلي فرنسا وسورية بتهيئة الاجراءات وتمهيد السبل لسلخ اللواء العربي عن جسم الوطن السوري ».

لننتقل الآن الى قضية اللواء .

الفصـــل الثـــالث

(١٩٣٧ ـ ١٩٣٨)

ـ ٢ ـ

موقف الحزب من قضية لواء الاسكندرون

نضال الشعب العربي في لواء الاســكندورن . موقف جريدة صوت الشعب في قضية لواء . الاعتراف « بحق فرنســا في التحالف مع تركيا » . الدعوة للاخاء العربي ـ تبرير فرنسا واظهارها بمظهر المدافع عن حقوق ســوريا والعــرب . تقسيم عرب اللواء الى مذاهب وطوائف . الموافقة على اتفاقية جنيف واستقلال الحزب الشيوعي في اللواء . تأييد ميثاق سعد اباد .. موقف الاتحــاد السوفيــاتي من قضية اللواء .

**

في تلك الفترة أصيبت الامة العربية بنكبة كبرى : سلخ لواء الاســكندرون عن طريق الام وضمه قسرا الى تركيا بالتعاون الوثيق والتآمر التام بين الاستعمار الفرنسي والاستعمار التركي

ان قضية اللواء قضية في غاية الاهميــة والخطورة . ومن أجل اللواء خاضت جماهير الشعب العربي كفاحا بطوليا وغير متكافىء بوحي من غريزتها الوطنية ووعيهــا القــومي ، وبرهن الشعب العــربي في هــذه المعــركة عن ادراكه العميق لجوهر قضيته . فلم يضــلل نفسه ولم يسمح لاحد بتضليله .. ولم تخدعه « سـياسة المراحل » التي نهجتهــا فرنســا وتركيا في تنفيذ المؤامرة . بل حدد منذ اللحظة الاولى اعداءه بصراحة ودقة . فرنسا وتركيــا .. وكانت المعركة نفسها تفرض عليه هــذا التحديد . وكذلك التاريخ الذي أثبت أن فرنســا دولة باغية تستعبد عشرات الملايين من العــرب وغير العــرب ، وان تركيا الــكمالية بعد أن حققت ثورتها القومية البرجوازية ، قضت على كل ما ليس تركيا في بلادها ، ونهجت سياسة التوسع

الاستعماري على حساب جيرانها العرب .

فماذا كان موقف خالد بكداش من هذه القضية ؟ ان توضيح هذه المسألة ضروري للغاية ، لا سيما وان خالد بكداش اخذ بعد نهاية عهد الانتداب يطالب بعودة اللواء الى الوطن الام حتى ان صراخه كان يغطي احيانا نداءات الوطنيين الشرفاء ! لنرجع الى جريدة « صوت الشعب » .

كرست جريدة « صوت الشعب » منذ اعدادها الاولى (ايار ١٩٣٧) مقالات عديدة لقضية اللواء . وكي نبقى امناء للنهج الذي سرنا عليه سنعرض للقارىء بعض هذه المقالات .

نشرت الجريدة في عددها الثالث بتاريخ **٢٩** أيار **١٩٣٧** مقالا مسهبا تحت عنوان « اسكندرون الضحية » بقلم صاحبها ومديرها المسؤول نقولا شاوي جاء فيه ،

« ان رغبة الحكومة الفرنسية في اكتساب صداقة تركيا من أجل صيانة السلم والدفاع عنه ، واتخاذ كل التدابير لتوطيد أركانه مشروعة جدا . ولكن الشعب السوري الذي عقد معها منذ أمد قصير معاهدة صداقة وتحالف لا يفهم أن يكون تحقيق هذه الرغبة قائمة على تضحية مصالحه والعبث بوحدة بلاده .

اننا نريد جميعا أن تقوى وتشتد علاقات الصداقة والود بين تركيا وفرنسا وسوريا أيضا ، ولكنا لا نريد أبدا أن ندفع من جيوبنا ثمن هذه الصداقة .

ومن جراء هذا تحصد الحكومة الوطنية هي أيضا بعض الاثمار الحامضة ، **فالرجعيون** يحاولون القاء تبعة حادث اسكندورن على عاتقها ، فيحملون عليها ويطلبون منها أن تستقيل ، ويظهرون أمام الشعب بمظهر اشد المدافعين اخلاصا عن وحدة الوطن ، وعن اللواء ، وعن مصالح الشعب .

ان قضية السنجق ليست مما يستهان به . انها مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية المعاهدة ، والشعب ينظر الى حلها باهتمام وقلق لم نر مثيلا لهما الا قليلا فيما مضى .

فاذا طلبنا ان تأخذ الحكومة الفرنسية موقفا حازما فانما نحن نمثل رغبة الشعب الذي يريد أن يرى لغته العربية

رسمية فى اللواء مثل اللغة التركية ، ونواب السنجق جالسين فى البرلمان السورى مع اخوانهم ممثلى بقية المناطق . وحاكم السنجق معينا من قبل حكومة دمشق المركزية ، يتلقى أوامره منها . أجل ، ان الشعب الذى ذاق مرارة التجزئة يريد أن يرى فى السنجق شروطا متوفرة واسعة تضمن الوحدة والسيادة السورية ، وتفسح المجال لاطلاق الحريات الديموقراطية الصحيحة بين سكانه ، وتوطيد عرى الصداقة بينهم وبين الشعب التركي الشقيق الذى يعارض هو أيضا مطامع حكومته الاستعمارية » .

هذا الكلام مصاغ بالاسلوب البكداشى المعهود القائم على التمويه والغموض المقصودين . ومع ذلك فاننا نجد فيه :

١ ـ اتهام القوى العربية المناضلة ضد فرنسا بانها رجعية .

٢ ـ الدعوة للصداقة العربية التركية .

٣ ـ اضفاء الصفة الشرعية على رغبة فرنسا فى كسب صداقة تركيا مهما كانت المبررات .

٤ ـ اعبار الحكومة الفرنسية مدافعا ، يركن اليه نسبيا ومطالبتها باتخاذ موقف حازم .

٥ ـ تحديد مطالب الشعب العربى بشكل لا يمكن أن يتفق مع شعارات النضال العربى آنذاك . وانما يتفق مع شعارات الحزب الشيوعى الفرنسى الذى نشرت صوت الشعب فى عددها السابق مقالا لاحد قادته يعلن فيه عن مطالبته بالشعارات ذاتها نصا ومعنى . فما كان من نقولا الشاوى الا ان رددها كالببغاء .

وفى العدد الرابع ، تاريخ ١٩٣٧/٦/٥ ، نشرت الجريدة مقالا لخالد بكداش بعنوان : « من المسؤول عن نكبتنا فى الاسكندرون ؟ » جاء فيه :

« وقد زادت الاسكندرون تعلقا بأمها سورية رغم كل **العناصر الهدامة** المعتزة بسيطرتها وامتيازاتها التى بذلت كل ما فى صدورها من خبث وانحطاط ، لاضعاف القوى السورية فى اللواء » .

اقول زادت الاسكندرون تعلقا بأمها سورية العربية ؛ ولا اعنى أن هذا التعلق كان ضعيفا ، بل أريد الاشارة الى

دخول عناصر تركية وافرة من العناصر الشعبية فى جبهة النضال الجدى لاجل سورية ضد مطامع تركيا الاستعمارية » .

وفى العدد ٢٥ تاريخ ١٩٣٧/١٠/٢ نشرت مقالا بعنوان : « المساعى البغيضة لتخليد التطاحن» لقاسم رضوان سكرتير الحزب فى اللواء جاء فيه :

« ان أهم ما يميز الوضع الحاضر فى لواء الاسكندرون هو حبك المناورات ليل نهار ، لتشجيع التناحر والعدوان القومى والطائفى » .

ويرى المتأمل أن الرجعيين على اختلاف قومياتهم يتفقون مع بعضهم لاستغلال نتاج أبناء الشعب سواء كان المستغل عربيا أو تركيا أو أرمنيا ، وبالوقت نفسه يعملون لبذر الشقاق والعداء ما بين جماهير الشعب العاملة . فعلى العرب والاتراك والارمن أن يفهموا أن انشقاقنا من بعضنا ، وانفصالنا هو مناصرة لاعدائنا الذين يريدون تخليد استعبادنا وتجويعنا واذلالنا .

ان العربى عاش مع التركى والارمنى سنين طويلة دون تناحر ولا سفك دماء ، فهم يستطيعون أن يعيشوا الآن أيضا وأن يتآزروا لاجل **نشر لواء الاخاء والسلام والهدوء** على ربوعنا ، ولاجل جعل لواء الاسكندرون السورى ديموقراطيا انسانيا » .

وصدر العدد ٤٨ من الجريدة بتاريخ ٢١ كانون الاول ١٩٣٧ بعد بعطيل ٨٤ يوما ـ لم توضح الجريدة أسباب توقفها عن الصدور ـ جرت خلالها أحداث اللواء الخطيرة : انزال العلم السورى ، ومظاهرات واضرابات الشعب العربى الشاملة . ولكن لم يرد فى هذا العدد شيء عن اللواء ، فى حين أن الجريدة تداركت ما فاتها ذكره فى فترة تعطيلها عن حوادث فلسطين ، متجاهلة أخطر أحداث اللواء :الا وهى اعتداء فرنسا على اتفاقية جنيف وتمزيقها .

وفى العدد ٩٩ تاريخ ٢٤ شباط ١٩٣٨ نشرت مقالا آخر لقاسم رضوان بعنوان : « لكى يسود الاخاء والسلام فى اللواء يجب وضع حد لدعاية التفرقة ! فى الاتحاد سلامة اللواء ورخاؤه » .

وفى العدد ١٨٤ تاريخ ٧ حزيران ١٩٣٨ ، نشرت افتتاحية لخالد بكداش عن قضية اللواءأهم واخطر ما ورد فيها :

« ليست فرنسا هى التى خيبت آمال اللواء وآمال العرب ليست فرنسا هى التى تراجعتأمام الاستعمار التركى ، وتخلت عن تعهداتها الدولية ، ورضيتبدوس قرارات عصبة الامم نفسها . كلا فرنسا لم تفعلذلك . بل فعل ذلك بعض الدبلوماسيين الفرنسيين . فعلت ذلك وزارة الخارجية الفرنسية » .

ومن هذه النصوص يمكننا أن نلخص موقفخالد بكداش وزمرته من قضية اللواء فى ثلاث نقاط :

١ ـ الاخاء العربى ـ التركى ومحاربة « دعاة التفرقة » (!؟)

٢ ـ محاربة العناصر العربية الشريفة .

٣ ـ الثقة بفرنسا الديموقراطية ، والسير تحت لوائها .

أما الدعوة الى الاخاء العربى التركى فهى من الوجهة السطحية والمجردة دعوة أمميةللاخاء بين الشعوب والسلام . ولكنها عمليا وموضوعيا مساهمة فى طمس جوهر القضية جوهرها القومى العربى الموجهضد فرنسا وتركيا ، جوهرها الوطنى الموجه ضد الغاصبين !وهى بالتالى تساعد على تضليل الشعب العربى فى اللواءوسورية . « ان دخول عناصر تركية وافرة فى جبهة النضال الجدى لاجل سوريا ضد مطامع تركيا الاستعمارية » لم يحصلالا ذهن خالد بكداش وقاسم رضوان وارتين ماخيان . انالدعوة الى « الاخاء العربى ـ التركى » اشبه ـ اذا اردناالتمثيل ـ بالدعوة الى الصداقة السوفياتية ـ الالمانية فى غمرةالعدوان الالمانى الهتلرى على الاتحاد السوفيتى . فهل دعاأحد فى الاتحاد السوفياتى الى « الاخاء السوفياتى ـ الالمانى »فى غمرة الحرب ؟

وأما الاعتماد على فرنسا الديموقراطية « ومطالبتها بالحزم » وما شابه ذلك فهو تجاهل انتهازى بشع لطبيعة الدولة الفرنسية الاستعمارية ولتآمرها الاستعمارى مع تركيا ضد سورية العربية . ان فرنسا لم تدافع ـ فى يوم من الايام ـ عن

مصالح سوريا كي تقول انها تراجعت . كانت فرنسا تعمل لمصالحها الاستعمارية ، ولاتقيم أي وزن الى اى شيء آخر !
ولكن الامور تتعدى التجاهل والانتهازية والتضليل العفوي الى الاعتراف الصريح بسلخ اللواء والموافقة عليه .

فمنذ العدد ١٤ تاريخ ١٧ ايلول ١٩٣٧ نشرت صوت الشعب تحت عنوان « هل المعاهدة السورية في خطر » ما يلي :

« انفردت جريدة فلسطين بنشر برقية خطيرة لمراسلها في دمشق مفادها أن هناك تعديلا سيطرا على المعاهدة السورية ـ الفرنسية . ويزعم مراسل فلسطين بأن هذا التعديل يتناول بعض المواد وما يتعلق منها بلواء الاسكندرون .

واذا صح الخبر ، فنحن ، مع كل ثقله ووطأته ، نحب بكل قوانا أن نصدق مراسل فلسطين في أن التعديل يقتصر على مسألة لواء اسكندرون فقط . بل لن يكون هذا التعديل أمرا جديدا اذ من الطبيعي أن تنعكس في المعاهدة حلول اسكندرون بعد أن صدقتها عصبة الامم » .

وهذا الكلام يعني بالضبط الموافقة على اتفاقية جنيف والاستمرار في تأييد المعاهدة السورية ـ الفرنسية حتى بعد تعديلها على هذا الاساس وقبول هذا التعديل كأمر طبيعي ، وتكييف سلوك الحزب في سوريا واللواء بحيث يتفق مع أحكام هذه الاتفاقية ، ويساعد الموظفين الفرنسيين على اداء عملهم في اللواء على الصورة التي رسمتها سياسة دولتهم الاستعمارية . فكان الحزب خير عون لهم في هذا السبيل .

ولم يكن هذا شأن البكداشيين وحدهم . بل سلك جميع عملاء فرنسا في سورية واللواء ذات السلوك ، فأيدوا اتفاقية جنيف ووفقوا سلوكهم مع أحكامها .

وبالاستناد الى تلك الاتفاقية، سارع أولئك العملاء في اللواء لتأسيس حزب سياسي يبشر بشعاراتهم هذه وأطلقوا عليه ابسم « حزب اتحاد العناصر » الذي يعترف باتفاقية جنيف ويعمل على اساسها . كما سارع الحزب الشيوعي في الاسكندرونة الى تقديم برنامجه ونظامه الداخلي الى السلطة المنتدبة على أساس الاعتراف باتفاقية جنيف . وكان أساس برنامج الحزب « الاخاء بين كل سكان اللواء كيفما كان جنسهم أو دينهم »

(لا يذكر البرنامج قوميتهم !)و « النضال ضــد كل دعايات التفرقة والشغب » (يقصدبهذاالكلام نضال العرب البطولى ضد اتفاقية جنيف والمـؤامرة التى يجرى تنفيذها) . أما النظام الداخلى للحزب فيعلن أن الحزب فى اللواء « فرع من الاممية مثل الحزب الشيوعى السورى وكل فروع الاممية » . وهذا يعنى الاعتراف « باســتقلال » اللواءوانسلاخه عن الكيان السورى.

ان القارىء سيستغرب هذهالسرعة العجيبة فىتقديمالبرنامج والنظام الداخلى، عندما سيتذكرأن الحزب فى سورية ولبنـــان يعمل فى الواقع بدون برنامج أونظام داخلى منــذ أكثر من ٢٠ سنة ــ لقد أقر المؤتمر الثانى(والاخير) للحزب فى أول كانون الثانى ١٩٤٤ ميثاقا وطنياونظاماداخليا . ولكن ألقى بهما فى سلة المهملات بعد عامين وهــذا يدلعلى أن الحزب لم يكن حريصا على وجود ميثاق وطنى أو نظامداخلى ــ فما الذى يدعوه الآن لهذا الحرص بالنسبة للواء ؟

ولــكن استغراب القـــارىءسيتضاعف اذا علم أن السلطة الاستعمارية بادرت الى اجــابةطلبالحزب بعد يوم واحدفقط، وقد نشرتصوت الشعبجواب المنـدوب الفرنسى بالموافقـــة متباهية . وكل ذلك كان يجرىفى الوقت الذى كان الفرنسيون يشنون فيه أقسى حمــلة علىالشعب العربى فى اللــواء وعلى جرائده ونواديه .

**

من الغــريب ان زمرة خالدبكـــداش وتلامـــذته فى لواء الاسكندرون، طوال أعوامالنضالالعصيبة (١٩٣٦ ــ ١٩٣٨) ، كانت تقتفى آثار المســتعمرينالفرنسيين والاتراك فى النظــرة الى سكان اللواء .

فالفرنسيون والاتراك لايعترفون بوجود شعب عربى واحــد فى اللواء • وأنما كانوايقسمون العرب الى طوائف دينيــة ، الى علويين وســـنيين عــرب وروم ارثوذكس • أما حــين يتكلمون عنالقوميات الاخرى ، فلايلتفتون الى تقسيماتها المذهبية أوالدينية بل ينظــرون اليهــا كقوميــات(أتراك ، أكـــراد ، أرمــن ، شركس) •

ولم يخرج خالد بكداش ذاته عن هــذه النـظرة حينما اتهم النــظرية الطورانيــة كـانت تستهدف العرب عموما لا العلويين وحدهم • فقد كانت دعايتهــا تنصب على ســكان القصير وهم سنيون عرب وعلى سكان العمق وهم سنيون عرب أيضا •

ويتجلى هذا الموقف أيضا في البيانات التي أصـدرها الحزب الشيوعي في اللواء أثناء عمليات التسجيل • فقد أصــدر الحزب بيانا باللغة العــربية موجها الى العــلويين في ٣ أيار ١٩٣٨ ، ونشرته جريدة صوت الشعب في عــددها ١٦١ تاريـخ ١٢ أيار ، ورد فيــه بالحـرف « يا معشر العلويين! يا أحفاد أبي الحسنين! يا من لكم الفخر والعز بعلويتكم ••• الخ » وأصــدر بيانا آخر باللغة التركية وجهه الى مواطني اللواء «الاتراك والعلويين والعرب والارمن والروم الارثوذكس » ، واضــعا العــلويين والــروم الارثوذكس الى جــانب الترك والعرب والارمن على أساس انهم يمثلون قوميات مستقلة ، مع ان الجميع عرب •

وهكذا نجد ان خالد بكداش وزمرته لم يدافعــوا عن عــروبة اللــواء ، بل فرقوها متبنين في ذلك النــظرية الفرنسية التي أخرجت العلويين والمسيحيين من حظـيرة العروبة بينما ســمت الاتراك أتراكا لا مسلمين سنيين والارمــن أرمــن لا مســيحيين كاثوليك أو أرثوذكس •

كـان غــرض الفرنســيين والاتراك من هذا التزوير المفضوح واضحا ، وهو تقسيم العرب الى طوائف بحيث تبدو الاقليــة التركية أكبر أقلية عــددية بين سكان اللواء • فماذا كان غرض خالد بكداش ؟•

**

وبالاضــافة الى ذلك كله ، هنالك الوجه الدولي للقضية •

فقد نشرت صوت الشعب في العــدد (١٥) تاريخ ١٨ أيلول ١٩٣٧ ، الخبر التالي تحت عنوان « سورية والميثاق الشرقي » •

« منذ الآونة التي تم فيهـا الميثاق الشرقي بين دول الشرق الادنى الاربع (تركيا) ، العراق، ايران ، أفغانستان) • وأقطار البلدان السورية متجهة الى هذا الحلف الذي أقل ما يقال فيه أنه حلف يرمي الى « تعزيز للسـلام العالمي • فلمـا عقـدت المعاهدة

السورية ـ الفرنسية ، بات من المنتظر أن تتجه بنفسه نحو الحلف الشرقي ، لا سيما **وبين فرنسا وتركيا أواصر وثيقة، فضلا عن اتفاقية لواء الاسكندرونة القاضية بالدفاع عن سوريا** وفاق معاهدة ثلاثية تعقد بين هذه الدول الثلاث (١) . ومن كل هذا يتبين لنا أن الوضع السياسي يساعد على تحقيق التآلف والدفاع المشترك بين أقطار الشرق الادنى خصوصا ونحن في غمرة من غمرات نزوع الفاشستية الى اجراء تقسيم جديد للعالم وتوزيع مناطق النفوذ » .

والمعروف أن هذا الميثاق ، ميثاق سعد اباد ، كان ميثاقا استعماريا هدفه ضرب الحركات التحررية في الشرق الاوسط وخاصة في الوطن العربي وقد ظهرت نتائجه من اقتطاع لواء الاسكندرون ، واثارة الفتن في الجزيرة وجبل الدروز والعلويين وتمزيق سورية ، والاعتداء على حريات شعبها وحقوقه الطبيعية .

وعادت الجريدة الى هذا الموضوع مرارا فنشرت في عددها ٢٢١ تاريخ ١٦ نيسان ١٩٣٩ وفي أعلى الصفحة الاولى ، الخبر التالي تحت عنوان «الاسكندرون في مفاوضات انجلترا وتركيا »

« نشرت جنفييف تابوى في جريدة الاوبزرفر نبأ أخيرا عن سنجق الاسكندرونة والمحادثات الجارية بشأنه الآن ، قالت فيه:

« لا تزال المفاوضات بشأن سنجق الاسكندرونة جارية بين انقرة وباريس ، ولقد بدأت الحكومة البريطانية في المفاوضة مع الحكومة التركية بشأن الحلف المنوى تأليفه من البلدان التي تبغي مقاومة التوسع الالماني عند الضرورة .

ان اتفاقات مونترو المتضمنة ايضاح الشروط التي فيها تسمح الحكومة التركية بالمرور في المضايق في حالة الحرب وحالة السلم وفي حالة بقاء تركيا على الحياد اذا وقعت الحرب ، قد وقعتها ايطاليا واليابان كما وقعها الاتحاد السوفيتي وانجلترا وفرنسا وبريطانيا ورومانيا الخ .. » .

---

(١) انتبه الى تأييد سلخ اللواء عن سوريا والاعتراف لتركيا وفرنسا بحق الدفاع عن سوريا ومطالبة سوريا باللجوء الى هذا الحلف الاستعماري بحجة مكافحة الفاشستية .

(المؤلفان)

هذه الاخبار « الموضوعية » البريئة كانت تؤدي في الواقع الى تضليل الشيوعيين حول المواثيق الدولية والوضع الحقيقي في الشرق الادنى ، واظهار قضية اللواء كأنها « جزء من كل » ، جزء من قضية « مقاومة التوسع الالماني » . الم تعترف جريدة صوت الشعب منذ البدء بـ « حق فرنسا في اكتساب صداقة تركيا من أجل صيانة السلم »؟!

وهكذا فان زمرة خالد بكداش لم تدافع عن عروبة اللواء . ولم تخدم السلم العالمي . بل كان هدفها التضليل والدفاع عن نظريات المستعمرين والاتراك وتبرير مؤامرتهم تحت شعار مكافحة الفاشسية وتحت شعار الصداقة الفرنسية ـ السورية ، وبحجة الدفاع عن تصديق المعاهدة مرة ثالثة .

ولم يقف تضليل بكداش وزمرته عند حد ، دفاعا عن السياسة الفرنسية وامعانا في التستر على مؤامراتها مع الرجعية التركية ضد مصالح الشعب العربي واخفاء للتفاهم الفرنسي التركي الذي اكتشفه عرب اللواء منذ أول لحظة، كما ألقت الصحافة العربية في سورية عليه الاضواء .. ولكي لا يبقى كلامنا هذا معلقا في الهواء نحيل القارىء الكريم الى المقالات العديدة التي نشرتها صوت الشعب خلال اشتداد الازمة في فترة (١٩٣٧ ـ ١٩٣٨) تلك المقالات التي كرسها بكداش وزمرته لابراز ما زعموا انه كان يحدث بين فرنسا « المعتدى عليها في اللواء »، واظهارها بمظهر المدافع عن مصالح سورية وحقوقها. (راجع العدد ١٩٨ من صوت الشعب الصادر في ١١ ايلول ١٩٣٨)

ولكي لا يظل بحثنا ناقصا وددنا عرض موقف الاتحاد السوفياتي من قضية اللواء اكمالا لهذا الموضوع (١) .

---

(١) ما كنا نريد أن نتعرض لموقف الاتحاد السوفياتي من اتفاقية جنيف الجائرة والمخالفة لكل المبادىء الانسانية وللقواعد والقوانين الدولية والمجحفة بحق الشعب العربي . وقد تعمدنا اغفال ذلك حينما نشرنا هذا البحث في جريدة الصحافة البيروتية في ٤ كانون الثاني ١٩٥٩ (العدد ٤٦) ، وذلك لان الحرص على الصداقة العربية ـ السوفيتية دفعنا لاغفالها ، لا سيما وان السوفييت حساسون جدا في مثل هذه الامور . فسكتنا على خطابي لتفينوف المعاديين لمصالح الشعب العربي وامانيه . وللحقوق الدولية ، وللمثل والمبادىء =

لقد وافق الاتحاد السوفياتى على اتفاقية جنيف الجائرة فى عصبة الامم ، وامتدح صديقته فرنسا وتركيا لانهما توصلتا الى هذه التسوية « السارة » ، فى جلستى العصبة المعقودتين فى ٢٧ كانون الثانى ١٩٣٧ و ٢٩ ايار ١٩٣٧ واليك التفصيل :

بعد أن القى المسيو ساندلر فى ٢٧ كانون الثانى ١٩٣٧ تقريره عن حل يضمن مصالح تركيا فى اللواء العربى ، ويمهد الجو لاحتلاله ، وبعد أن القى المستر ايدن خطابا يمتدح فيه الاتفاق ويشيد بفرنسا التى أجابت طلب تركيا « بروح الود والسخاء » وقف الرفيق ليفينوف فى المجلس وقال : ان حكومته قد اهتمت لهذه القضية منذ الاول لانها تخص دولتين ترتبط بهما بصلات وثيقة : فتركيا لها صلات صداقة جدا وثيقة بالاتحاد السوفياتى منذ بدء حياتها ، وفرنسا ترتبط معه بمصالح مشتركة وبميثاق للتعاون المشترك . ومن الطبيعى اننا نرغب ان يتوصل أصدقاؤنا بصورة عملية الى هذه الصداقة».. ثم هنأ فى الاخير وزيرى الخارجية التركية والفرنسية والمسيو ساندلر لانتهائهم الى هذا الحل . (راجع خطاب لتفينوف فى مجلة عصبة الامم الرسمية ص١٢١ شباط ١٩٣٧ ــ الطبعة الانكليزية) .

وفى الجلسة السادسة من اجتماع عصبة الامم السابع والتسعين المنعقد فى جنيف فى ٢٩ أيار ، والذى وقع فيه على الصيغة النهائية لاتفاقية جنيف الجائرة التى الغت السيادة السورية عن اللواء ، تكلم الرفيق لتفينوف أيضا وكان وزيرا لخارجية الاتحاد السوفياتى ، فعبر عن ارتياحه لهذه التسوية « السارة » لانها تدل على نجاح الحكومة الفرنسية التى تربطها مع الحكومة السوفياتية رابطة الصداقة ، وعلى نجاح الحكومة التركية التى ارتبطت معها أيضا بروابط صداقة قديمة لم تتبدل وعلى نجاح العصبة التى تعتبرها حكومته عنصرا مهما فى سياستها

= الاخلاقية. اما الآن فقد اصبح لزاما علينا أن نبدد جانبا من هذا الوهم . وذلك بتذكير السوفييت والامة العربية بموقفين خطيرين لمندوب الاتحاد السوفيتى لتفينوف ، فى ٢٧ كانون الثانى ١٩٣٧ و ٢٩ أيار ١٩٣٧ من قضية اللواء . لعل الذكرى تنفع ... (المؤلفان)

.. (راجع خطاب لتفينوف في مجلة عصبة الامم الرسمية أيار وحـزيران ١٩٣٧ ص ٣٣٢ ــ٣٣٣ الطبعـة الإنكليزية) .

لقد كان لتفينوف حريصـا على صداقة فرنسا وتركيـا . أما سوريا والعرب ، أصـحاب الحق في هذه القضـية ، فقـد تجاهلهم الاتحاد السوفياتي ولم يقم لارادتهم أي وزن . ولم يكن الاتحاد السوفياتي محقا في هذا الموقف .

اما خالد بكداش واتبـاعه ، فقد خانوا وطنهم وعملوا لمصلحة أعدائه الاسـتعماريين الفرنسـيين والاتراك .

الفصـــل الرابع
موقف الحـــزب الشـــيوعى
من معـــركة الجـــــلاء (١٩٤٥)

شـــعارات الحركة الوطنيـــةومواقف اللجنة المركزية للحزب من هذه الشعارات . دعوة خالدبكداش الىالاستقرار والتسوية. العدوان الفرنسى على سورية فى٢٩ أيار . موقف الشـــعب من العدوان . موقف اللجنة المركزيةللحـــزب بعـــد العدوان . كيف سكتت جريدة صوت‌الشعب عن‌مطلب الجلاء .

هوية الجنرال أوليفـا ــ روجيه . خطاب بكداش فى‌يوم الجلاء

**

منذ دخول «الجيوش‌الحليفة»الى ســـوريا ولبنـــان ، اضطرت حكومة « فرنسا الحرة » بلسان‌الجنرال كاترو الى اعلان نهـــاية الانتداب والاعتراف باســـتقلال‌سوريا ولبنان .

الا أن هـــذا الاســـتقلال كان‌يترتب عليه أن يبقى اســـتقلالا صوريا لا قيمة له ما لم يتحقق‌مطلبـــان أساســـيان من مطالب الشعب :

أولا ــ انتقال الجيش من‌أيدى‌الاســـتعمار الفـــرنسى الى أيدى السلطات الوطنية .

ثانيا ــ جلاءالجيوش‌الفرنسيةوالانكليزية عن سوريا ولبنان .

وكانت المطالبة بالجيش‌الشعارالاســـاسى الذى يحرك مظاهرات الشعب فى جميع المدن السوريةواللبنـــانية منذ ســـنة ١٩٤٣ . وكانت البرجـــوازية الوطنيـــةالمعتدلة تطالب هى‌أيضابالجيش، وتؤكد أن الجيش هو أســـــاس‌الاستقلال والسيادة ، وانه مامن دولة مستقلة ترضى ببقاءجيشهاتحت قيـــادة أجنبية . وهـــذا الشعور الوطنى كان شعورا عامايشارك فيـــه العمال والفلاحون والمثقفون‌والبرجوازيون والضباط‌والجنود فى‌الجيش الموحود تحت سيطرة الفرنسيين .

لقد كانت جميـــع الطبقـــات‌الوطنية فى مرحلة ١٩٤٤ــ١٩٤٥

تطالب باستكمال حقوق سوريا وتعمل دائبة للحصول على الاستقلال التام الناجز .

يمكننا ان نتساءل اذن عن الخطة التى اتبعها خالد بكداش وعن الشعارات التى طرحها فى تلك الفترة .

ما هو موقف بكداش وأعوانه من حقوق سوريا ؟ ماهو موقفهم من قضية الجيش ؟ ماهو موقفهم من المظاهرات الوطنية ومن الشعب ؟

لقد كان خالد بكداش يدعو الى « الاتحاد الوطنى » ، حسب العادة التى درج عليها منذ بدء حياته السياسية . ولكن أى « اتحاد وطنى » ؟ وعلى أى أساس ؟ ولأى هدف ؟

قبل الحرب مثلا ، كان يدعو الى « الاتحاد الوطنى » على أساس التعاون مع فرنسا ، أى ـ فى الواقع ـ الرضوخ للاستعمار الفرنسى رغم اغتصاب اللواء ، ورغم خيانة مونيخ ، ورغم كونه الاستعمار .

فما هى سياسة البكداشيين فى سنة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ بعد ان أعلنت « فرنسا الحرة » نفسها عن موافقتها على استقلال سوريا ولبنان ، وبعد معركة ستالينغراد ؟

اليكم ماورد فى افتتاحية خالد بكداش تحت عنوان « تطورات السياسة وواجب الوطنيين الديمقراطيين (صوت الشعب ، العدد ٧٤٥ : ٨ نيسان ١٩٤٤)

« اننا عندما نقول ان البلاد بحاجة الى بلوغ نوع من الاستقرار (!) فى علاقاتها السياسية ، وفى حياتها العامة ، فانما نفصح عن ارادة الشعب بأسره بكل جماعاته وفئاته . واذا كان غيرنا يدعى لنفسه وحده الحق أو الاولوية فى التكلم باسم بعض الطبقات العليا ـ اوباسم الكبار والخواص كما يقولون ، فذلك شأنه . أما نحن فنؤكد ان مئات الالوف من صغار التجار ومن صغار المنتجين فى المدينة والقرية ومن العمال والطلاب ورجل العلم والفكر متجهون اليوم بأفكارهم نحو شىء رئيسى هو بلوغ **حالة من الاستقرار يتمكنون فيها من معالجة شؤون معاشهم وحياة أطفالهم وعائلاتهم بصورة مجدية مثمرة حتى نهاية الحرب** . صحيح ان الاستقرار التام فى بلد كسورية لا يتحقق الا ببلوغ الاستقلال الوطنى ، اقامة نظام ديمقراطى صحيح ، توطيد كيان دولى متين فى عالم تمحى منه مبادىء الاعتداء والطغيان

الاستعماري ، وهي أشياء لن يتسع مجال النضال في سبيلها ولن نوضع على بساط البحث بصورة جدية الا بانتهاء الحرب او مع انتهائها . **ومعنى ذلك ان المهمة الاولى الموضوعة امام بلادنا اليوم هي دعم مجهود الحلفاء الحربي في سبيل سحق المانيا الهتلرية . فذلك أقرب طريق لانتهاء الحرب .**

اننا نقصد بالاستقرار تثبيت ما نالته سورية من حقوق واستكمالها وتسوية جميع الامور المعلقة وبلوغ وضع فيه شيء من الاستقرار من حيث علاقاتنا الحالية مع الدول الاخرى ومن حيث حياتنا العامة أي اننا بعبارة أخرى نريد أن نصبح الحقوق الاستقلالية التي نالتها بلادنا وحقوقنا الدستورية ونظامنا الجمهوري في مأمن من كل غارة أو عاصفة جديدة ، فلا تبقى معلقة بسير التناقضات بين هذه الدولة او تلك ، متوقفة على طبيعة المصالح التي قد تفرق هذه الدولة عن هذه الدولة حينا وقد تجمع بينهما حينا آخر . **ان الامة السورية تنشد الوصول الى تسوية تنقذها من الاخذ والرد ومن القلق والاضطراب وتؤمن لها نوعا من الاستقرار الى نهاية الحرب .** وفي ذلك دعم المجهود الحربي أولا ، وفسح مجال العمل المثمر والنضال المجدي امام الشعب ثانيا .

ان ثمة أناسا وأوساطا ومراجع يريدون استمرار **حالة القلق والاضطراب السياسي في بلادنا** وهما نوعان — فريق يأمل ان يؤدي دوام هذه الحالة الى **نسف النظام الجمهوري** وعودة العهود البائدة ، وفريق يخدم مصالح أخرى .. أي أن الفريقين يريدان أولا واخيرا حرمان سورية سيادتها واخضاعها لنير سيطرة قديمة أو جديدة . . . .

**

هذا ما يقوله خالد بكداش بأسلوبه الانشائي المعهود ، وهذا ما يسميه ماركس وانجلس ولينين « أسلوب الجمل » وما عرفته حركة العمال بهذا الاسم منذ « برودون » و « دوهرنغ » حتى «مالنكوف» و كاغانوفيتش ولكن اذا طرحنا الانشاء والجمل تبقى الافكار ، وهذه الافكار هي التالية :

١ — الدعوة الى حالة من « الاستقرار » باسم مصلحة

الفقراء الكادحين الذين يريدون على حد زعم بكداش «الانصراف الى معالجة شئون معـــاشهم وحياة أطفالهـم وعائلاتهم » .
وهذه الدعوة العاطفية اللئيمـة معناها التخلى عن النضـــال الوطنى . وذلك بعـد الجريمة النكراء التى ارتكبتهـا فرنسـا المستعمرة ضد الشعب اللبنانى قبل بضعة شهور .

٢ ـ الدعوة الى عقد معاهدة مع الاستعمار الفرنسى والوصول الى « تســـوية » معه ، على أســـاس « تثبيت الحقوق التى نالتها ســـوريا » فى حين ان الشعب كان يرفض كل تسوية مع جلاديه ، ولا يقبل بأقل من الاستقلال التام الناجز والجلاء

٣ ـ اتهـــام جميـع الذين يعارضون هذه الخطة ، بأنهـم يريدون تحطيم النظام الجمهورى وبالعمل لحساب جهة أجنبية فى حـين أن الشعب بأسره ـ« صـــغار التجار والمنتجـين والعمال والطلاب الخ .. » ـ كان يعارض هذه « الخطة » .
ولم يتقبل هـــذه « الخطة » سوى الفئـات المتخلفـــة فى البرجوازية السورية ـ اللبنانية وصنائع الاستعمار الفرنسى » .

٤ ـ ما زال خـــالد بكداش ينادى ـ فى مقاله هذا ـ بفكرة « الامة السورية » المنـــاوئة للقومية العربية ولمفاهيم الشعب ومعتقداته . ان الشعب السورى كان يؤمن ايمانا راسـخا بأنه جزء من الامة العربية وانه لا يمكن أن يكون الا جزءا من الامة العربية .. ألم تكن سوريا مركز القومية العربية ومنارة للامة العربيـــة كما جاء قـرار البكداشيين عن « الاتحاد » بين سوريا ومصر فى أوائل سنة ١٩٥٨ . كان شعب ســوريا يؤمن بأنه جزء من الامة العربية . ولكن خالد بكداش ، مثله مثل انطون سعادة ، اراد أن يفرض على هذا الشعب ان يكون « أمة سورية » .

٥ ـ كى يتمكن من تضـــليل الشيوعيين وجرهم الى خطـــة « التسوية » وبالاصح خطــة التعاون مع الاستعمار والتخلى عن النضـــال الوطنى الثورى ؛ كان خالد بكداش يبذل جهـده لاظهار النضال الوطنى فى سبيل الاستقلال بمظهر العامل الذى يعرقل « مجهود الحلفاء الحربى » ويؤخـــر « نهاية الحـــرب » .
وبذلك يرهب الوطنيين ويؤلب الحلفاء ضدهم وضد شعاراتهم ، ويبرر التعسف الاستعمارى .

وقد استطاع فى الواقع جر عدد من النـاس الى هـــذه

« الخطة » التى كانت تصطدم بالنضال الوطنى الجماهيرى .

ألم ينظم البكداشيون مظاهرات تحمل صور ستالين وديجول وبكداش ؟؟ ..

وكى يدرك القارىء خطورة هذا الموقف وتأخره عن ركب النضال الوطنى ، يستطيع أن يقارنه بموقف البرجوازية نفسها .

فقد نشرت جريدة صوت الشعب فى عددها ٧٥٢ صريحا للوزير اللبنانى حبيب أبى شهلا ، فنقلت عن لسانه أنه أصر على تسلم الجيش دون أن يكون لفرنسا أى اشراف عليه .

« ان من ضرورات الاستقلال أن يكون للبنان جيش ونحن لا نستطيع تأجيل ذلك الى مابعد الحرب » .

هكذا ... لقد كان حبيب أبى شهلا أسبق من بكداش وزمرته وأكثر انسجاما مع المطالب الوطنية ... ومن البديهى أن أبى شهلا كان يعمل لصالح البروجوازية اللبنانية . ولا نظن انه كان عميلا بريطانيا أو مؤيدا للنظام الملكى . وبعد ، الم يحضر ابى شهلا الجلسة الختامية لمؤتمر الحزب الشيوعى بتاريخ أول كانون الاول ١٩٤٤ ؟ وقد تباهى الحزب بذلك فى صحفه ومنشوراته !

وهذه الخطة التى تضع الحزب فى ذيل الاحداث عرضتها جريدة صوت الشعب وأبرزتها فى افتتاحيات ومقالات عديدة لخالد بكداش ونقولا شاوى وفرج الله الحلو ووصفى البنى وغيرهم ، وهى جميعها لا تخرج عن الافتتاحية المذكورة سابقا .

هذا ما نلاحظه مثلا فى افتتاحية خالد بكداش المنشورة فى العدد ٩٢٢ بتاريخ ٤ و ٥ شباط ١٩٤٥ بعنوان « نحن وفرنسا » فهو يكتفى بالتهجم على « العقلية الفاشستية » عند بعض موظفى الاستعمار ، ولا يذكر قضية تسلم الجيش »

ولكن الاحداث كانت تسير بسرعة . والحرب تسير نحو غايتها . والدول الفاشستية فى أوربا تستسلم الواحدة تلو الاخرى وشعوب المستعمرات الفرنسية والاستعمار الفرنسى يستعد للمعركة الفاصلة .

وفى ٨ أيار ١٩٤٥ ، دخلت جيوش الاتحاد السوفياتي مدينة برلين فزال الخطر الفاشستي نهائيا باستسلام المانيا الهتلرية

وفى ٨ أيار ١٩٤٥ ، فى نفس اليوم الذى كان البكداشيون يحملون فيه صور بكداش مع صور ممثل الاستعمار الفرنسي الجنرال ديجول بتوجيه من زعيمهم ، قام شعب الجزائر بثورته الباسلة ، فقمعها فرنسيو ديجول بوحشية لا تقل اطلاقا عن وحشية الهتلريين ، ان لم تفقها .

واخذ الاستعمار الفرنسي يعد مجزرة ثانية فى سوريا ولبنان ، فيوالى استفزازاته ضد الشعب وينزل قوات جديدة فى سوريا بغية رسيخ أقدامه ومنع الاستقلال الوطنى ، على أشلاء عشرات الالوف من السوريين واللبنانيين .

ومع ذلك كله ، نشرت جريدة صوت الشعب فى عددها ٩٨٦ بتاريخ ١٨ أيار ١٩٤٥ تحت عنوان « بعد عودة الجنرال بينه — ما هى الاسس التى تسوى عليها العلاقات بين سوريا ولبنان وفرنسا » افتتاحية بقلم نقولا شاوى ، يؤكد فيها أن « الجانب الفرنسي يريد معاهدة مع سوريا ومعاهدة مع لبنان، وان البلاد لا تعارض فى ذلك ، بشرط أن تقوم المعاهدتان على أساس المساواة التامة والحقوق التى نالها البلدان خلال هذه الآونة (!) وفى نفس العدد ، نشرت الجريدة خبرا عن « مقابلة رئيس الحزب الشيوعى السورى لفخامة الرئيس شكرى القوتلى » يتبين منه أن خالد بكداش أهمل فى المطالب التى قدمها قضية الجيش ولم يشر اليها بحرف ، كما طالب بتوثيق عرى الصداقة مع الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة الامريكية ، دون يقدر موقف الاستعمار الامريكي واهدافه فى هذه المرحلة ، بل منحه بركنه بقوله : ان الولايات المتحدة « لا تقر لاية دولة من الدول بمركز ممتاز فى بلادنا »

وتوالت الاستفزازات الفرنسية (التى نجد صداها فى جريدة صوت الشعب نفسها — ان كانت هذه الجريدة مضطرة للتحدث عنها والا انفضحت كليا فى نظر الشعب ولم يعد بامكانها متابعة مهمتها التضليلية) .

وفى العدد ٩٩٣ ، الصادر فى ٢٨ أيار ١٩٤٥ ، اى فى عشية العدوان الفرنسى الغاشم نشرت صوت الشعب افتتاحية استمرت فيها على بحث « نوع المعاهدة » الواجب عقدها بين فرنسا

وسوريا ، وزفضت اعطاءمركز ممتاز لها ، وأبرزت هذا الشعار دون أن تذكر قضية تسلم الجيش بصراحة . وبذلك كله ، كانت جريدة البكداشيين تساهم في تضليل الشعب حول حقيقة الوضع وحقيقة نوايا الاستعمار الفرنسي ..

— وفي اليوم التالي، نفذ الاستعمار الفرنسي عدوانه الغادر ، وسقط ألوف الشهداء في مختلف المدن السورية . فما هو الموقف الذي اتخذه خالد بكداش وأعوانه بعد هذا العدوان ؟؟

لقد كان العدوان الفرنسي دليلا واضحا ، على خطأ ضرر كل سياسة غير السياسة الوطنية الشريفة ، التي تطرح القضايا الحقيقية بصراحة تامة ونعالجها بروح الاشتراكية الثورية ، لا بروح التخاذل الانتهازي ، الذي يدفع أولئك الذين هم في اعتقادهم « أشبه بالنعامة التي تخفي رأسها حتى لاترى العدو وتظن أن العدو أيضا لا يراها ، مادامت هي لا تراه » .

لقد أثبت العدوان أن سياسة الذين يعلقون آمالهم — في الزعامة — على تحول فرنسا المقبل الى دولة اشتراكية ، فيعتبرون هذا التحول الافتراضي سببا كافيا للشذوذ عن مبادىء النضال الوطني ، بدلا من ان يقوموا بواجبهم الوطني والشيوعي ، رغم كل الدلائل والقرائن التي كانت تدفعهم دفعا الى جادة الصواب — سياسة خاطئة منحرفة لا تمت الى اللينينية بصلة ، بل هي أقرب الى سياسة الاممية الصفراء ، سياسة أدوار برنشتاين وليون بلوم .

رغم ذلك كله ، ورغم الاعتداء الفرنسي على حقوق الشعب اللبناني في أواخر سنة ١٩٤٣ ، ورغم دماء ٤٥ ألفا من الجزائريين الذين سقطوا في مجزرة ٨ أيار ١٩٤٥ ، ورغم مئات وألوف الضحايا والشهداء الذين سقطوا في سورية في أواخر أيار وأوائل حزيران ١٩٤٥ ، ثابر خالد بكداش — قدر امكانه — على خطته اللاوطنية .

وكي لا يبقى كلامنا معلقا في الهواء ، نعيد القارىء مرة أخرى الى جريدة صوت الشعب .

في العدد ٩٩٨ ، تاريخ ٥ حزيران ، نشرت الجريدة وصفا مسهبا لحوادث العدوان الغاشم وعكست — الى حد ما — غضبة الشعب ضد الاستعمار . ونشرت في الصفحة الثانية

« نداء الحزب الشيوعي السوري » تحت عنوان « فلتسقط البربرية الاستعمارية الهمجية المجرمة »

وقد جاء ـ هذا البيان :

« ايها المواطنون الابيون !

قابلت السلطات الاستعمارية الغاشمة نضال بلادنا الوطني المشروع في سبيل حريتها وسيادتها الوطنية بهجوم غادر همجي ...

ولكن دمشق لم تتراجع ولم تتخاذل ، بل صمدت وثبتت حكومة وشعبا صمودا رائعا .

لقد ثار الراي العام الحر في كل انحاء الدنيا . وتدخلت الدول الحليفة انجلترا والاتحاد السوفياتي وأمريكا والدول العربية وشعوبها للدفاع عن الشعب السوري ، وتدخلت الجيوش البريطانيه الموجودة في بلادنا .

ان سورية تشكر الجيوش البريطانية التى أوقفت سفك الدماء وتتقدم بشكرها لجميع الدول الحليفة وكل الشعوب الشقيقة ...

... ولذلك يطلب الشعب السوري باسم مبادىء الحق والعدل ...

١ ـ محاكمة الذين ارتكبوا هذه الجنايات .

٢ ـ ارجاع المنهوبات الى أصحابها .

٣ ـ التعويض على أصحاب البيوت المدمرة والمحروقة .

٤ ـ الزام هؤلاء المجرمين بكل الاضرار التى لحقت بالاهلين . »

(صوت الشعب ، العدد ٩٩٨ ، تاريخ ٥ حزيران ١٩٤٥) .

لقد قرأنا هذا النداء مرات عديدة . ولم تخدعنا عباراته الملتهبة . بل لاحظنا فيه انحرافا خطيرا عن مطالب الشعب الحقيقية . ان الشعب لم يقصر مطالبه على محاكمة المجرمين وارجاع المنهوبات الى أصحابها وما شابه ذلك ، بل وضع في رأس مطالبه : الجلاء التام الناجز الفوري ! أما زمرة خالد بكداش فقد تجاهلت قضية الجلاء تجاهلا تاما .

وهذا ما يلاحظ أيضا في« مقررات الاجتماع المشترك لممثلي اللجنتين المركزيتين للحزب الشيوعي السوري والحزب اللبناني عن الحالة السياسية في سوريه ولبنان بعد عدوان المستعمرين الفرنسيين » ٠ فقد طالبت هذه المقررات بمحاكمة المسؤولين عن الفظائع كمجرمي حرب ، ودعت الى « الاتحاد الوطني » (!) ، ونسيت الجلاء (صوت الشعب العدد ١٠٠١ ، تاريخ ٩ حزيران ١٩٤٥) ، متجاهلة بذلك مطلب الشعب الاساسي رغم اصرار جميع الوطنيين عليه ، كما يتبين من مطالعة الاخبار الواردة في الجريدة نفسها ٠

فقد صرح سعد الله الجابري الى مندوب جريدة الاهرام بقوله:

« ولن يقبل السوريون ٠ ٠ عقد اتفاق مع فرنسا بل هم يطلبون جلاءها التام لكي تستمتع باستقلالها التام » ٠

(صوت الشعب ، العدد ١٠٠١ ، ٧ حزيران ١٩٤٥) ٠

وتبنت الجامعة العربية قرار الحكومتين السوريه واللبنانيه الرسمي بجلاء الجيوش الاجنبية عن سورية ، كما يتبين من مقررات الجامعة العربية المنشورة في العدد ١٠٠١ من صوت الشعب تاريخ ٩ حزيران ٠ فقد جاء في هذه المقررات :

« بعد سماع بيان ممثلي سوريا ولبنان والاطلاع على المذكرة المقدمة منها : يقر المجلس مايلي:

ان الحكومة الفرنسية اعتدت سوريا ولبنان وعليها مسؤولية ما وقع فيها من قتل وتخريب وخسائر ٠

ان بقاء القوات الفرنسية في سورية ولبنان يتنافى مع حقوق السيادة والاستقلال المعترف بهما

ان وجود القوات الفرنسية في سورية ولبنان يعرض البلاد والاهالي بصفة مستديمة الى مثل الحوادث الفاجعة التي وقعت في الايام الاخيرة والتي حدث مثلها في الماضي ٠

ان وجود هذه القوات يحدث توترا مستمرا في علاقات فرنسا مع الجمهوريتين العربيتين يمتد الى بقية الاقطار العربية **ويعرقل المجهود الحربي** ضد اليابان ٠

ولـــذلك يؤيد المجـلس طلب سورية ولبنان **الجـلاء العاجل لجميع القـوات الفرنسية عن أراضي الجمهوريتين** • وهو حين يقرر ذلك لا يفكر مطلقـا في احتمال بقاء قوات أجنبية أخرى في بلاد الجمهوريتين العربيتين• »

هكذا يتبين لنا ان الجلاء كان المطلب الاساسي لسورية ولبنان والعرب • ومقررات جامعة الدول العربية ـ من أولها الى آخرها ـ تدور حول هذه القضية •

أما زمرة خالـد بكداش فلم تتبن شعار الجلاء الا بعـد أن أعلنته الجامعـة العربية نفسها وبعد ان ثبت حتى للعميـان أنه اصبح قضية محتومة لا مفـرمنها ، وبعد ان اصبح السكوت عنه فضيحة مكشوفة • فقـد نشرت جريدة صوت الشعب في عددها ١٠٠٢ ، تاريخ ١٠ ـ ١١ حزيران ، خبرا مفاده أن « الحزب الشيوعي السوري » تقدم بمذكرة للدول العربية والحليفـة في ٩ حزيران ١٩٤٥ يطلب فيها «جلاء جميع الجيوش الاجنبية وفقـا لتصريـح المستر ايـدن وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم في ٣١ أيار ١٩٤٥ » •وكانت هذه هي المرة الاولى التي تتبنى فيهـا زمرة البكداشيين هذا الشعار •

ويلاحظ ان اجتماع اللجنتين المركزيتين للحزبين الشـيوعيين السوري واللبناني المنعقـد قبل يوم أو يومين لم يتطرق الى قضية الجلاء ، كما بينا سابقـا • فمن هي الهيئـة المسماة « الحـزب الشيوعي السوري » التي تقدمت بهذ المذكرة التي تنص على الجلاء؟ وكيف حـدث هذا التحـول الواضح ؟ وما هي أسبابه ؟ ان الاجتمـاع المشـترك للجنتين المركزيتين المذكور في العدد ١٠٠١ من صوت الشعب الصادر بتاريخ ٩ حزيران لا يمكن أن يكون قد نسي الجلاء ، وليس بامكانه أن ينساه ، ومـع ذلك لم يتطرق اليـه • فماذا حصـل ؟ ؟ حتى تدارك الحزب الموقف متأخرا ؟

من الممكن القول ان شـعار الجلاء فرض فرضا على خالـد بكداش من قبل الشعب السوري الذي قاسى العدوان (١) •

---

(١) لابد لنا من الاشارة هنا الى أن الحزب الشيوعي الفرنسي كان يشترك في الحكومة الفرنسية في باريس • والجنرال أوليفا ـ

أما نقــولا شــاوى (الزعيم الحقيقى للحزب فى لبنان وممثل خــالد بكداش) ، فقــد كان باســتطاعته أن يتأخــر بعض الوقت قبــل الاعتراف بهـــذا الشعار • وهذا ما نلاحظـه فى بيان المكتب السياسى للحــزب الشيوعى اللبنانى الصادر بتاريخ ١٧ حزيران والــذى تطرق الى الاستقلال والسيادة والتحرر من كل ســـيطرة اجنبيـــة ، دون تسمية الامور باسمها الصريح : جـــلاء الجيوش الفرنسيـــة والانكيزية عن لبنان •

ترى لو قبل الشعب السورى بنصيحة خالد بكداش ، وركن الى الهدوء والسكينة ، وتخلى عن النضال الثورى ، وحقق «الاتحاد الوطنى » او « الجبهة الوطنية »(!) على اساس « تأمين حالة من الاستقرار » ، وتجاهــل قضيتى الجيش والجـــلاء وقبل بعقــد معــاهدة تسوية « تثبت الحقوق التى نالتهـــا سورية » والتى اعترفت جــريدة صوت الشعب بأنها ليست الاستقلال التام، ماذا يكون مصير سورية اليوم ؟

من حسن الحظ ان الشـــعب السورى كان أعمق وعيا وأبعد بصيرة واصـــلب عودا من خالد بكداش وأمثاله • فرفض هـــذه «النصيحة» وتابع نضاله الثورى وحقق الجلاء فى ظرف أقــل من سنة ، تاركا بكداش وزمرته فى ذيــل الحركة الوطنيـــة يجرون وراءها لاهثين دون أن يــدركوا محط أقدامها •

لقد تحقق الجلاء فى ســـنة ١٩٤٦ ، رغم محاولات الاستعمار الفرنسى والانكليزى بفضل وعى الشعب ونضــاله وتأييد الشعب العربى فى جميع أقطاره ومساندة الاتحاد السوفياتى لقضية سورية ولبنـــان فى مجــلس الامن

وتكلم خالد بكداش فى يوم الجلاء متناسيا مواقفه السياسية طيلة فترة الانتــداب ، وأكد ان ســياسة سوربة أن تـــكون استقلالية عربية ، وأضاف :

« اننـــا نطلب ان لا تسير سياستنا الدولية لا فى لنـــدن ولا واشنطن ولا موسـكو ـ بل فى ركاب ســـورية والعـــروبة وحدها » • (مجلـــة الطريق السنة الخامسة ، العددان السابع

روجيه الذى أصــدر الاوامر فى دمشق « بتـــأديب السوريين » كان صديقا للحزب الشـــيوعى الفرنسى • وعند وفاته فى فرنسا عـــام ١٩٥٠ ، نعتـــه جريدة الاومانيته باعتباره سكرتير **منظمة « انصار السلام »** فى محافظـــة بيرينه ـ الشرقية بفرنسا •
(المؤلفان)

والثامن فى ٣٠ نيسان ١٩٤٦ ،ص ٣٢) ٠

لم يكن شعار « لا شرقية ولاغربية » معروفا آنذاك ٠

ان سياسة الجمهورية العربيةالمتحدة منذ بدئهـا حتى اليوم لا تسير « لا فى ركاب لندن ولاواشنطن ولا موسكو » ، ورغم ذلك فالبكداشيون يتهمون هذهالسياسة بالتحريفية (!؟) ٠ ولو أردنا أن نستخدم هـذا التعبيرالـذى يعشقه خالـد بكداش ويستعمله فى كل مناسبةوبدونمناسبة ، وجب علينا القول ان خالد بكداش هـو أول من نادىبالتحريفية وأول من أبتكرها ٠

ولكن تلك ليست نيتنـا ٠وخالد بكداش ، فى ركضة وراء المؤيدين والانصار لا يقف عنـدمثل هذه الحدود ٠

ولـكن هل كانت سـياسةبكداش تسير فى ركاب سورية والعروبة طـوال فترة ١٩٣٢ ـ١٩٤٥ ؟ طبعا لا ٠ وهل كانت تسير فى ركابموسكو ؟ انهناكأمورا كثيرة تدفعنا الى نفى ذلك أيضا ! فبركاب من كانت تسيرسياسته ؟؟

وبركاب من سارت هـذهالسياسة فى العهد الجديد الذى انفتح بالنسبه لسورية بجـلاءالقوات الاجنبية ٠ هذا ماسيراه القارىء فى الفصـول التالية منهذا الكتاب ٠

الفصل الخامس

١٩٤٦ ـ ١٩٤٨

ـ ٢ ـ

موقف الحزب من قضية فلسطين

كيف نفذت المؤامرة الاستعمارية الصهيونية ضد فلسطين ؟ موقف خالد بكداش من قضية فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية • بيان اللجنة المركزية للحزب حول قضية فلسطين • ماهى أسباب الحقد بين العرب واليهود ؟ هل النزاع الفلسطينى نزاع قومى أم لا ؟ موقف البكداشيين من الغزاة اليهود فى فلسطين وموقف السوفيت من الغزاة الالمان ! متى أصبحت قضية فلسطين قضية جلاء واستقلال؟ خطة البكداشيين فى تضليل الشعب فى جميع مراحل القضية الفلسطينية •

**

قضية فلسطين من أهم القضايا التى تشغل العرب منذ عشرات السنين • وهى ليست بالنسبة للامة العربية قضية مصالح وحقوق فحسب ، بل أكثر من ذلك قضية حياة • وكى نفهم الذين تأثروا بالدعاية البكداشية، نقول ان قضية فلسطين أهم من قضية احتلال واستقلال • انها قضية اغتصاب أرض عربية وتشريد سكانها العرب وابادتهم واسكان « شعب » آخر محلهم ، وذلك دون ان يكون لهؤلاء السكان الشرعيين أى ذنب ، واقامة دولة مصطنعة دخيلة ، فى قلب الامة العربية ، للضغط والتهديد والاعتداء والتوسع ، دولة قامت على العدوان • واذا فرضت علينا لغة المقارنة ، نقول ان وجود دولة اسرائيل فى قلب الوطن العربى ـ بكيانها وجيشها وسكانها واقتصادها ـ أهم واخطر بكثير من وجود احتلال اجنبى فى بقعة ما من بقاع الوطن العربى • انه أخطر بكثير بالنسبة للامة العربية ، وبالنسبة لقضية السلام فى الشرق الاوسط والعالم اجمع •

أولا : لانهـا الابن المـدلل للاسـتعمار ولا يمكن الفصل بينها وبينه •

ثانيـا : لا نهـا لاتكتفي بالاستغلال والنهب الذى يزاوله المستعمرون فى مستعمراتهم بل تحاول محو الشعب العـربى من فلسطين وابادة كل مظهر للعروبة فيها •

ثالثـا : لان قيامها هـدفه شق الوطن العربى الى شـطرين آسيوى وافريقى تمهيـدا لمحو معالم القومية العربية من المنطقة •

ولسنا هنا فى معرض الحديث المفصـل عن تطورات المسـألة الفلسطينية ونقتصر على التذكير كيف ان الاسـتعماريين والصهيونيين نفـذوا مشروعهم الرامى الى اقامة دولة اسرائيـل بـدأب وثبات • وقـد تحقق المشروع على مرحلتين رئيسيتين

أولا ــ التعـاون الوثيق بين الانتداب البريطانى والصهيونية، وتـدفق المهاجرون اليهـود الى فلسطين بفضل هذا التعاون • ولم تكن الهجرة اليهودية ممكنة لولا وجود الاستعمار البريطانى ودعمه وتشجيعـه للهجـرة ومساندته لليهود ضد العرب •

ثانيـا ــ بعد نهاية الحـرب العالمية الثانية : التعاون الوثيق بين الصهيونية والاستعمار عامة • وخاصة الاستعمار الانكلو ــ اميركى ، الذى دعم العصابات الصهيونيـة بقواه المـادية والسياسية •

وخلال المرحلتين ، بذلت الاوساط الاسـتعمارية والصهيونيـة جهدها لتضليل العرب حـول حقيقة الموقف باظهارها الدولتين الغربيتين الاستعماريتين بمظهر الحكم الحيـادى • فدفعت بعض العناصر اليهودية المعتـدلة من أمثال السير هربرت صموئيل الى التظاهر بمصادقة العرب والعطف على مستقبلهم •

أما خالد بكداش والبكداشيون فقـد عملوا فى فترة ١٩٣٧ ــ ١٩٣٨ فى خط مساعد للاستعمار اذ دعموا هذا الاتجـاه التضليلى بطرق عدة :

أولا ــ تغاضوا عن الانتـداب البريطانى ، وطمسوا شعـار استقـلال فلسطين ، وطالبوا « بريطانيا الديمقراطية » بعـدم تنفيـذ مشروع التقسيم ••• وكانوا بهذا الموقف ، يسهمون فى

تضليل الشعب العربي ، وتحويل أنظاره عن التعاون القائم على قدم وساق بين بريطانيا «الديمقراطية» وبين الصهيونية .

هذا ما لاحظناه في التقرير الذي أرسله خالد بكداش الى مؤتمر بلودان عن قضية فلسطين . وهذا ما يمكن ملاحظته في مقالات عديدة نشرتها جريدة « صوت الشعب » لا سيما المقال المنشور في الصفحة الاولى من العدد العاشر بتاريخ ١٧ تموز ١٩٣٧ بعنوان « تقسيم فلسطين أسوأ من بقاء الانتداب » وفيه دعوة صريحة الى الهدوء والاخاء العربي اليهودي والعمل المنتج (!) في ظل الانتداب البريطاني .

ثانيا ـ صافحوا اليد «الكريمة» ، التي كانت تمدها العناصر الاستعمارية الصهيونية «المعتدلة» يد السر هربرت صموئيل ، المفوض السامي البريطاني ، وهو أول رجل فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية .

ثالثا ـ لم يهتموا كثيرا بالقضية الفلسطينية أصلا ، بل بذلوا جهدهم لصرف الانظار عنها ، وعملوا على أظهارها كمشكلة فرعية ثانوية .

أما الشعب العربي ، هذا الذي لا يكترث خالد بكداش برأيه وحكمه ، فلم ينطل عليه تضليل الاستعمار والصهيونية والبكداشية . بل أدرك جوهر القضية ، جوهرها القومي العربي الموجه ضد الغزاة الصهيونيين وضد المستعمرين الانكليز والامريكيين . ولم يطالب بريطانيا « الديمقراطية » بكذا وكيت ، بل حاربها بكل ما أوتي من عزم وقوة حارب الاستعمار والصهيونية ، دفاعا عن حقه وحياته ، وبالاستناد الى فهمه لمصلحته ووعيه لطبيعة المعركة .

ذلك هو موقف خالد بكداش والبكداشيين من قضية فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية . فما هو موقفهم من المشكلة بعد هذه الحرب ، عند اقتراب المعركة الفاصلة ؟ .

ان الطريقة التي اتبعناها حتى الأن تفرض علينا عدم الاعتماد على التصريحات الشفهية ، تلك التصريحات التي يستطيع أصحابها انكارها ، لا سيما وانهم اعتادوا على تزوير أبسط الاشياء . بل تفرض علينا الاعتماد على النصوص المكتوبة ، على مقالات صوت الشعب ، وكراسات خالد بكداش ، وبيانات القيادة

البكداشية • فهذه المقالات والكراسات والبيانات هى الوثائق الدامغة •

لذلك نقدم للقارىء فيما يلى نص البيان الصادر عن اجتماع اللجنتين المركزيتين للحزبين الشيوعيين اللبنانى والسورى ، المنعقد فى ١٧ تشرين الاول ١٩٤٧ • ونشير الى أن هذا البيان صدر قبل موافقة الاتحاد السوفييتى على مشروع التقسيم بأيام ، أى فى الوقت الذى كان فيه الحزب الشيعوى السورى اللبنانى لا يزال « يعارض » مشروع التقسيم بشدة •!

يتطرق هذا البيان الى قضية فلسطين ، ومؤتمر الاحزاب الشيوعية الاوروبية الكبرى فى فرصوفيا ، وخطر انتقال وباء الكوليرا الى سورية ولبنان • ولكن أهم ما ورد فيه يتعلق بقضية فلسطين • فاليكم ماجاء فى هذا البيان حول هذه القضية تحت عنوان : « قضية فلسطين قضية جلاء واستقلال وحرية » •

« ان قضية فلسطين تجتاز مرحلة دقيقة تتميز بتنوع وتكاثر المؤامرات الاستعمارية الانكليزية والامريكية ، الرامية الى اخراج هذه القضية عن حقيقتها وطمس معالمها ، واعطائها الشكل الذى يمكن المستعمرين من تنفيذ الانكليز وقد انضم اليهم فى السنين الاخيرة المستعمرون الامريكيون ـ قد عملوا دائما ، لجعل القضية الفلسطينية ، قضية **نزاع عنصرى عربى يهودى • ولاجل ذلك سعوا ـ يساعدهم زعماء الصهيونية ـ الى تغذية التوتر والحقد بين العرب واليهود فى فلسطين ، ومنع أى تقارب أو اتفاق بين الطرفين** • وكان هدفهم دائما تأمين سيطرتهم والمحافظة على احتلالهم واستعمارهم •

وها هم اليوم يستغلون الحالة التى خلقوها هم انفسهم ، لاجل **تقسيم** فلسطين واقامة دولتين فيها ، وهدفهم من ذلك هو تثبيت

سيطرتهم واستعمارهم واحتلالهم بالتعاون مع خـــدمهم زعماء الصهيونية وعملائها ودعاتها .

ولا ريب ان السياسة التي سارت عليها بعض الاوساط العربية ، وكذلك الاوساط ذات العقلية الاقطاعية الرجعية ، قد ساعدت في تنفيذ مآرب المستعمرين والصهيونيين ، في الدعوة للتقسيم ، وجعل القضية قضية نزاع عربي يهودي ، وبايجاد الحجج لدعم مزاعمهم القائلة باستحالة عيش العرب واليهود في دولة واحدة .

ان الحزبين الشيوعيين السوري واللبناني يعتقدان اعتقادا جازما **بأن قضية فلسطين هي قضية حرية واستقلال** ، وهما واثقان من انهما يعبران عن رأي جميع الوطنيين الديموقراطيين العرب ، في التأكيد بأن حل قضية فلسطين هو في الجلاء والاستقلال والغاء الانتداب ورفض مشروع التقسيم رفضا باتا ، كما يعتقدان بأن من الممكن ان يعيش العرب واليهود في فلسطين ، في ظل دولة ديمقراطية مستقلة واحدة .

ان واجب الوطنيين الديمقراطيين العرب ، في نضالهم ضد التقسيم ، ان يقاوموا بقوة وحزم جميع المحاولات التي تحمل لواءها بعض الاوساط الرجعية المرتبطة بالاجنبي في الاقطار العربية ، تلك المحاولات الرامية الى اخراج حركة التضامن العربي مع فلسطين ، من نطاق النضال ضد الاستعمار والاحتلال والصهيونية وتحويله الى نضال عربي يهودي .

ان الشرط الرئيسي لنجاح النضال العربي ضد التقسيم ، هو في الوقوف بحزم وجرأة في وجه كل سياسة ترمي الى جر العرب لمثل هذه المغامرات التي لايقتصر اذاها وضررها على قضية فلسطين العزيزة ، بل تتناول سمعة العرب جميعا وتهدد استقلال سورية ولبنان في الدرجة الاولى ونظامها الجمهوري ، كما تهدد مستقبل نضال بقية الشعوب العربية ، في سبيل الجلاء والاستقلال .

آن العالم أجمع يجب أن يعرف ويقتنع ان نضال العرب لاجل فلسطين هو قبل كل شيء نضال وطني ضد الاستعمار والاحتلال والجلاء والديموقراطية .

وان تضامن العرب في جميع أقطارهم مع فلسطين ، في نطاق النضال ضد الاستعمار هو ، السبيل الوحيد القويم ، للفوز بتأييد القوى الديمقراطية في العالم واحباط مشاريع التقسيم والدولة الصهيونية ، وتحقيق استقلال فلسطين وتحريرها من الاحتلال والانتداب ضمن دولة ديموقراطية مستقلة » .

هذا هو نص البيان . ويستطيع القارىء أن يراجع هذا النص في عدد جريدة صوت الشعب الصادر في ١٩ و ٢٠ / ١٠/ ٩٤٧

يمكننا القول أ ن القارىء العادي لجريدة « صوت الشعب » الذي قرأ البيان في سنة ١٩٤٧ فهم منه آنذاك ، ان اللجنة المركزية « تعارض » مشروع تقسيم فلسطين ، وان العرب ليسوا من أصحاب النزعات العنصرية « اللاسامية » المعادية لليهود ، بل هم ضد الصهيونية فقط ، وان قضية فلسطين كما يقول عنوان البيان نفسه ، هي « قضية جلاء واستقلال وحرية » وليست قضية نزاع عنصري بين العرب واليهود . وكان بامكان هذا القارىء مثلا ، ان يفتخر بالروح الانسانية والاممية التحررية الواعية التي تطبع هذا البيان الخ !.

ولكن لابد لنا من تجاوز هذه النظرة الاولى السطحية ، ولا بد لنا أن ننفذ الى أعماق المسألة ، محاولين اجلاء حقيقتها ، تبعا لمقتضيات المنهج الموضوعي . فاذا ما تجاوزنا النظرة السطحية ، نلاحظ الامور التالية :

أولا ـ صحيح ان المستعمرين يعملون عادة على تغذية الحقد بين الشعوب ولكن أساس هذا الحقد (وهذه السياسة) في فلسطين

هو وعد بلفور والانتداب البريطانى والهجرة اليهودية ٠
فلم تكن فلسطين قبل وعد بلفور مكونة من شعبين ـ عرب ويهود
جاء الاستعمار الانكليزى فغذى روح الحقد بينهما ! بل الحقيقة أن
الاستعمار الانكليزى جاء وجلب معه اليهود ، فى عملية غزو
واجتياح واغتصاب ، لم يشهد التاريخ مثيلا لها ! وفى هذه
الظروف ، من الصعب أن يتحلى العرب بروح المحبة والاخاء تجاه
الدخلاء ٠ لقد عرف العرب فى التاريخ بروحهم الانسانية
السامية تجاه الشعوب الاخرى وتجاه اليهود أنفسهم ٠ ان تاريخ
إسبانيا فى ظل الحكم العربى والحضارة العربية أكبر شاهد على
ذلك ٠ أما فى فلسطين فى عهد الاستعمار والغزو العنصرى
والصهيونى فالمسألة تختلف كل الاختلاف !

والواقع أن بيان اللجنة المركزية البكداشية يلتزم الصمت حول
هذه «النقطة» بالذات بل يعترف لليهود الغزاة بشرعية البقاء
دونما تحفظ !

ثانيا ـ صحيح ان قضية فلسطين « قضية جلاء واستقلال
وحرية » ، وليست قضية نزاع عنصرى عربى ـ يهودى ٠ ولكنها
أيضا وبلا أدنى ريب « قضية نزاع قومى بين العرب واليهود ،
أى قضية نزاع بين شعبين ٠

بامكان بكداش أن يقول وأن يصرخ متهربا ان اليهود «لا يؤلفون
أمة » ، وأنه لا مجال بالتالى للتحدث عن نزاع قومى ٠ وبذلك
يكون مرة أخرى قد أحل المحاكمات اللفظية الشكلية محل التحليل
الواقعى ٠

نعم ، اليهود لا يؤلفون « أمة » ٠٠ ولكن تلك مشكلة أخرى :
مشكلة نظرية ، وهى لا تهمنا فى قضية عملية الى أبعد حد ٠
فهنالك شعب يهودى فى فلسطين ، شعب دخيل ، وخاضع للصهيونية
العالمية وآلة بيد الاستعمار ، جاء مع الاستعمار ، وهو يأتمر
ـ بنسبة ٩٩٪ على الاقل ـ بأوامر الصهيونية العالمية ، ويتحالف

- بنسبة ٩٩ ٪ على الاقل - مع الاستعمار ضد العـــرب وضد فلسطين العربيــــة . والنزاع الفلسطيني - تبعا لذلك - هو نزاع بين شـــعبين مختلفـين بملامحهما وخصائصهما وتاريخهما الخ ... هـو نزاع قومي بين العرب واليهود . ومعركة العرب ضد الصهيونية هي « الى جانب» كونها معركة ضـد الاستعمار ، معركة قومية . وان كونها معركة ضد الاستعمار في سبيل الحرية والاستقلال لا ينفي أبدا كونها معركة قومية ، بل بالعكس فهو يؤكد فيها هذا الجوهر القومي .

ان نضـال العـرب في الوطن العربي ليس نضـــالا وطنيـــا فحسب ، اي نضالا موجها ضد الغزاة المســتعمرين ، دفاعا عن أرض الاجداد ، بل هو أيضـــا نضال قومي . انه حركة القومية العربية المتحررة الراميـــة الى اقامة دولة العـرب القوميـــة المستقلة الموحدة . والصهيونية حركة اجرامية رجعية استعمارية ذات طابع عالمي موجه ضد هذه القومية العربية وحقها في الحياة .

والواقـع أن خالد بكداش لم يكن - ظاهرا - ليـــدرك لا من قريب ولا من بعيد حركة القومية العربية التحررية الثورية الصاعدة ولا يهمه حقها في الحياة .

ثالثا - يوجه البيان البكداشي أنظار العـرب الى كسب الرأى العام العالمي الديمقراطي . اجل ان الرأى العام العالمي قوة كبرى ، ومن الضروري أن يدافع العرب عن « سمعتهم » ! ولا يجوز لهم ان يظهروا بمظهر « العنصريين النازيين الفاشست » .

ولكن ليست القضية هنا قضية نزعـة عنصرية . ومهمـا ادعى البكداشـــيون ، فان المـواقف « الانسانيـة » الرائعـــة التي ينادون بها لمعاملة اليهود الغـزاة والتعايش معهم واقتسام الوطن واياهم ، ليست الا كالدعوة الى الاخاء السوفياتي - الالماني مثلا ، عندما كان جيش الغزاة الهتلريين يدق أبواب موســكو ولننغراد وكورسك وستالننغــراد . الم يقرأ بكداش وأعوانه الكتابات التي كتبهـــا الكسي تولســـتوي وسيمونوف وايليا اهرنبورغ أثناء

الحرب العالمية الثانية ، والتي لم تكن تتحلى بالنزعة «الانسانية» الزائفة ، بل كانت تتحلى بروح الكفاح القومي الثوري المستميت ضد اعداء « الامة الروسية » والشعوب السوفياتية ، ضد اعداء الانسانية جمعاء ؟.. (١)

فما بال البكداشيين ، يضللون الشعب العربي في أخطر معركة من معاركه القومية ، ولم يمض على انتهاء الحرب العالمية عامان؟ يبدو ان التجربة التي قاموا بها في لواء الاسكندرونة ، في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ والتي دعوا فيها الى تآخي العرب والترك ، في الوقت الذي كانت فيه تركيا وفرنسا وجميع القوى الرجعية تتآمر لسلخ اللواء لم تكن كافية لادراك اخطائهم . فجاءوا بعد عشر سنوات يعيدون التجربة ذاتها ، بأسلوب اكثر خسة واشد خطرا .

رابعا — ولكن اكثر ما يدهش في هذا البيان الغريب عنوانه « قضية فلسطين ، قضية جلاء واستقلال وحرية » !!

أجل ان قضية فلسطين هي قضية جلاء واستقلال وحرية ، وكل عربي يعلم ذلك ولكن متى اكتشف خالد بكداش هذا الاكتشاف العظيم ؟؟

ان العرب يعلمون ذلك ، وقد برهنوا على علمهم عمليا ، منذ بداية الانتداب البريطاني في فلسطين . برهنوا عليه بالنضال العنيد الذي خاضوه ضد الانتداب في سبيل الجلاء والاستقلال والحرية والعروبة . وقدموا على مذابحه الآلاف من الضحايا .

---

(١) في شهر ايلول ١٩٣٩ . وضع خالد بكداش ورفيق رضا ونقولا شاوي وفرج الله الحلو وارتين مادويان انفسهم وحزبهم في خدمة فرنسا المعتدى عليها من قبل المانيا ، واعلنوا استعدادهم للدفاع عنها في الخنادق مع الجنود الفرنسيين ، وتطوع ابراهيم بكري وبهجت قوطرش وغيرهم من كبار الحزبيين في الجيش الفرنسي ، ولكن ما من أجد منهم دافع عن عروبة فلسطين بل بالعكس !! (المؤلفان)

اما خالد بكداش فقد تجاهل ان القضية هى « قضية جلاء واستقلال وحرية » ، عندما ارسل تقريره فى سنة ١٩٣٧ الى مؤتمر بلودان ، هذا التقرير الذى صرخ فيه كثيرا ، ولكنه سكت عن « قضية الجلاء والاستقلال والحرية » ، كما سكت جميع اعوانه عن هذه القضية آنذاك فقدموا بذلك أكبر خدمة للصهيونيين الذين تمكنوا من جلب عشرات الالوف من اليهود وتنظيم العصابات الارهابية والتشكيلات العسكرية خلال عشر سنوات متوالية .

والآن فى سنة ١٩٤٧ يسكت بكداش عن « الجانب » القومى فى المشكلة ..

فى سنة ١٩٣٧ ، يدعو بريطانيا « الديمقراطية » الى عدم تنفيذ مشروع التقسيم حرصا على مصلحة « الديمقراطية » . ويدعو العرب واليهود الى التآخى فى ظل الانتداب .

وفى سنة ١٩٤٧ ، يدعو الى « التعاون بين العرب واليهود » ضد بريطانيا الاستعمارية ، ويطالب بالغاء الانتداب .

ان خالد بكداش يجزىء الواقع ويسلط الاضواء على جزء منه ليخفى الجزء الآخر ، تبعا للمصلحة المؤقتة المحدودة والجزئية ــ بل تبعا لخطة معادية للعرب .

والحقيقة أن قول نصف الحقيقة واخفاء النصف الآخر عمدا هو ضرب من التزوير لا يقوم به الا الانتهازيون والعملاء والاتباع على اختلاف اشكالهم .

ان خالد بكداش يوهم انصاره بانه ، بهذا السلوك ، انما « يوجه الحقيقة » لمصلحة البروليتاريا العالمية والتقدم الانسانى ، حتى ولو ضحى بمصالح شعبه ــ معتبرا اياها مصالح جزئية ! ــ ولكن التاريخ قد اثبت دائما انه انما « يوجه الحقيقة » لصالح

أعداء العرب ولصالح الاستعمار العالمي .

هذا هو موقف خالد بكداش واعوانه من قضية فلسطين قبل موافقة الاتحاد السوفياتي على مشروع التقسيم .

والحقيقة ان البكداشيين كانوا بهذه الاساليب المضللة ، يعدون العدة للموافقة على مشروع التقسيم نفسه ، ويمهدون السبيل لاقتلاع كل معارضة لهذا المشروع في صفوف الحزب والسير وراء موقف الاتحاد السوفياتي بدون أي نقاش ـ وهذا ما فعلوه ـ الا أن هذه الاساليب لم تفدهم في شيء .. فقد هبط عدد اعضاء الحزب الشيوعي على أثر المأساة الفلسطينية وما جرته للعرب من ٢٠ الف في لبنان و ١٥ ألف في سوريا (عام ١٩٤٧) الى بضع مئات في كلا البلدين (عام ١٩٤٩).

لقد قال لينين :

« ان الحركة الصهيونية في جوهرها خاطئة ورجعية بصورة مطلقة ، وأن فكرة القومية اليهودية ذات صفة رجعية سافرة لا بالنسبة لمعتنقيها فحسب ، بل وكذلك بالنسبة للذين يحاولون خلق انسجام بينها وبين الافكار الاشتراكية » .

وكذلك هاجم ستالين الصهيونية وأعلن مرارا ان اليهود لا يؤلفون أمة .

وقد ردد الحزب الشيوعي في سوريا هذه الاقوال وتفاخر بها خلال سنوات عديدة ، و«عارض» مشروع التقسيم بينما مهد له واقعيا بطرق شتى .

ولكن ما ان ايد الاتحاد السوفياتي التقسيم حتى قلب خالد بكداش موقفه .

اعترف الاتحاد السوفياتي باسرائيل واعترفت بها دول الكتلة الشرقية وارسلت لها عددا من الرجال والسلاح.

وظلت مهمة خالد بكداش التبرير ثم التبرير .. الدفاع عن نفسه والهجوم على خصومه ، واتهام كل معارض بالانحراف والخيانه ، واطلاق استرة كثيفة من الدخان للتعميه ..

« الحكومات الرجعية العربيةهى المسئولة . لقـــد عارضت الاتحاد السوفياتى الصديق حتى اللحظة الاخيرة ولم تخطب وده. صحيح أن اليهود ليســوا أمــةولكنهم شعب له حق الحياة » .

ولكن هذا كله لايبرر شيئا .لايبرر موافقة الاتحادالسوفياتى على قيام وطن قومى لليهــود فى فلسطين .

فالحركة الصهيونية خاطئــةورجعية بصورة مطلقة . وفكرة القومية اليهودية ذات صـــــفةرجعية سافرة الخ ..

هذا الكلام ذهب أدراج الرياح. ولكن الحزب نفسه ذهب أيضا ادراج الرياح . أو كاد .

الفصل السادس

(١٩٥٨ ـ ١٩٥٩)

موقف الحزب من الوحدة

موقف الحزب من الوحدة . قرار اللجنة المركزية للحزب حول الاتحاد بين سوريا ومصر . خطة اللجنة المركزية بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة . موقف اللجنة المركزية من الاستفتاء . خطة الحزب بعد الاستفتاء . مقال خالد بكداش في مجلة قضايا السلم والاشتراكية موقف القيادة المركزية من سياسة الحياد الايجابي والاصلاح الزراعي والدستور . نشاط الحزب الشيوعي في الاقليم السوري وفي العراق . خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في بورسعيد . اعترافات زعماء الحزب الشيوعي ونهاية الحزب . ماهي الخصائص التاريخية للحزب الشيوعي في سورية ولبنان ؟ لماذا لم تكشف دوائر الاستخبارات الاستعمارية عن حقيقة الحزب عندما كانت تشن الحرب على الشيوعية في الشرق العربي ؟

**

كانت الوحدة مفاجأة تامة لخالد بكداش وتحطيما لاحلامه في المغامرة فلجأ الى كل الوسائل لمنع أو عرقلة هذه الوحدة . واتخذت اللجنة المركزية للحزب قرارا عن « الاتحاد بين مصر وسورية » ، مضمونه كما يلي

اولا : عنوان القرار بحد ذاته يوحي الناس بأن الوحدة غير واردة اصلا ولا يمكن أن يفكر بها الا المجانين .

ثانيا : يبدا القرار بترداد الرأي القائل ان الوحدة نتيجة تطور موضوعي . ويتجاهل دور الفكر والارادة والعمل الارادي . والقصد من ذلك تغطية الدور السلبي للحزب ، واستبعاد كل عمل ارادي حاسم من أجل الوحدة ، وترك تحقيقها للتطور الموضوعي العفوي وارجاءه لاجل غير مسمى .

واكثر من ذلك : أن بعض مسئولي الحزب احدوا يصرحون

ان العرب ليسوا امه مممـــلةالعـــالم ، اذ ينقصـــها الوحـــدة الاقتصادية ، ويجب انتظار اكتمال المعالم ..

ثالثا : يستعرض هذا القرار نضال الشعب السورى ونضال الشعب المصرى . فيذكر الجلاء عن مصر وصـــد العـــدوان الاســـتعمارى والانتصـــارات الاخرى التى حققتهـــا مصر . ولكنه يغفل عمدا ثورة ٢٣ يوليو التاريخية التى لولاها لما تحقق انتصار واحد من الانتصـــارات المذكورة فى القرار .

وهذا التجاهل قد املته الخطة الجديدة ، خطـــة الدس على حــكومة مصر وعــلى ثورة ٢٣ يوليو . فالوحدة بين ســـورية ومصر هى ، الى حـــد كبـــير ، وليدة هذه الثورة . والاشـــادة بالثورة لاتفيـــد هـــدف عرقـــلة الوحدة . والى جانب اغفال دور ثورة ٢٣ يوليو فى القرار الرسمى العلنى ، قام منـــدوبو اللجنـــة المركزية بدعاية واسعة فى جميع المناطق ضد « الدكتاتورية » فى مصر !

رابعا : نوه القرار بأن سورية بلغت مستوى من المعيشة يفوق مستوى غيرها من بلدان الشرق الادنى . وفى الوقت ذاته ، أعلن المسئولون الحزبيون للمنظمـــات وجوب التركيز على هذه الناحية لافهام النـــاس أن الوحـــدة « ستوحد » بين مستوى المعيشة فى مصر وفى سورية ، فينخفض مستوى معيشة الشعب السورى لصالح الشعب المصرى !!

خامسا : ركز القـــرار على « كيان سورية ومكانتها الدولية وسمعتها الطيبـــة » . وتكررت هذه النغمة على صفحات جريدة النور مرارا ، لاسيما فى العـــدد الصادر بتاريخ ٣٠ كانون الثانى ١٩٥٨ ، حيث ذكر خالد بكداش بالفقرة الواردة فى القرار والتى تقول ان الاتحاد بين ســـــورية ومصر يجب أن « يرفع مكانة كل من الجمهوريتـــين العـــربيتـــين المتحررتين فى العـــالم ، ويوطـــد كيانهما ، ويزيد وزنهما فى الحياة الدولية » . واكد وجوب المحافظة على الشخصية الدولية والتمثيل الخارجى لكل من البلدين ! (١)

---

١ ـ من الجـــدير بالملاحظة أن هـــذا القرار قد فرض من فوق ـ شأنه شأن سائر القرارات . ولم يناقش أبدا فى قواعد الحزب .

(المؤلفان)

وبالاضافة الى هذا القرار ،أصدرت اللجنة المركزية البكداشية قرارا آخر عن الجبهة الوطنية ، زعمت فيه أن استقلال سورية يقوم على الاحزاب ، وان حل الاحزاب معناه زوال الحريات وبالتالى زوال الاستقلال ! وبذل مسئولو الحزب نشاطا واسعا لتضليل الناس وايهامهم بصحة هذا الراى ! بالرغم من أن تاريخ سورية قد أثبت ان الاحزاب عجزت عن تعبئة جماهير الشعب الواسعة .

وكانت بعض العناصر المعارضة فى دمشق تريد توضيح الامور على حقيقتها دون أن تهاجم القيادة البكداشية صراحة فى ذلك الظرف الدقيق من تاريخ الاقليم السورى . فعمدت الى اصدار بيان ــ معاكس ردت فيه بصورة غير مباشرة على قرار اللجنة المركزية المعادى للوحدة ،وفندت بصورة ضمنية كل ما ورد فى هذا القرار من مغالطات .

وقد أوضح البيان المعاكس دور ثورة ٢٣ يوليو التاريخية التى فتحت مرحلة جديدة فى تاريخ العرب وقلبت ميزان القوى فى الوطن العربى لصالح الشعب،ثم حدد دور الافكار والارادة الثورية ، ودعا الى السير بالوحدة نحو حدها الاقصى ، نحو الوحدة العضوية الشاملة ، كما بين دور الاستعمار فى تجزئة الوطن العربى ، واهمية قيام الجمهورية العربية المتحدة فى تاريخ نضال القومية العربية .

وقد وزع هذا البيان المعاكس فى دمشق على نطاق واسع بينما وزع فى أماكن أخرى على نطاق محدود .

أما جريدة النور فقد اعلنت ــ حسب عادتها ــ ان البيان مدسوس وأن الذين أصدروه هم « جواسيس مارقون » و «عملاء للاستعمار » ، دون أن تستطيع الرد على كلمة واحدة مما جاء فيه . وقد كشفت اللجنة المركزية بذلك عن موقفها الحقيقى المعادى للوحدة .

ومما يذكر ان خالد بكداش امتنع عن حضور جلسة المجلس النيابى التى اعلنت فيها الوحدة ، لم ينله شرف التوقيع على وثيقة الوحدة . بل ذهب خارج البلاد للدس على الجمهورية .

اما جريدة النور فسكتت عن تغيب بكداش . وعرضت الامور كما لو أن بكداش حضر الجلسة ووافق على الوحدة (التى تمت بالاجماع حسب مانشيت النور) .

وأخذ اعضاء الحزب فى جميع المناطق يتساءلون بحيرة : هل حضر أم لم يحضر ؟ ويؤكدون ـ دون وعى ـ أنه حضر ووقع وان الجرائد المعادية للحزب هى التى تشيع العكس .. وبقى التساؤل عشرة ايام تقريبا .

ثم أعطيت التبريرات : ذهب بكداش لحضور مؤتمر الحزب الشيوعى الهندى . أو ذهب ليستشفى فى براغ الخ .. ثم تفتقت اذهانهم عن تفسير جديد . فكتبت جريدة النور أن ثمة مؤامرة دبرت لاغتيال خالد بكداش فى طريقه الى المجلس ، الامر الذى دفعه لعدم الحضور . وقس على ذلك .

**

وازدادت الدسائس . بعضها فى التوجيهات الشفوية ، وبعضها فى جريدة النور بأسلوب مموه .

وكانت الخطة تقوم على ابراز كل خبر يمكن تأويله بمعنى أن الوحدة انتصار للرجعية أو أنها تنزع الى اليمين . واليكم بعض الامثلة على ذلك :

أولا : الوحدة تبعد « الوطنى الشريف » خالد بكداش وتجلب المشبوهين والعملاء . (بمناسبة قدوم نائب اتهم بالخيانة وبرأته المحكمة العسكرية ولكنه لم يعد الا عند قيام الوحدة . ونشر خبر حضوره جلسة البرلمان فى النور وفى صحف اخرى بتوجيه من اللجنة المركزية للحزب ، لغرض الاستغلال) .

ثانيا : مانشيت النور عن تصريح شوان لاى القائل بأنه « يأمل أن تعتمد الجمهورية العربية المتحدة على القوى الوطنية والديمقراطية » واعادة هذا الكلام فى صدر الصفحة الاولى . وقد اعلن مسؤولو الحزب شفويا أن كلام شوان لاى هو « بمثابة تحذير من الدول الصديقة التى لم تكن مسرورة للوحدة » .

ثالثا : ابراز خبر « ترحاب » شارل مالك وسامى الصلح بقيام

الجمهورية العربية المتحدة والمعروف ان هذا « الترحاب » و «التأييد» كان موقفا تضليليا يدخل فى خطة استعمارية .
وقد ساهمت اللجنة المركزية للحزب فى هذه اللحظة ، فنشرت جريدة النور « الخبر » فى مكان بارز مع صورة ، بينما قام مسؤولو الحزب بالمهمة الموكولة اليهم على الاساس بقولهم : «ان الخونة والجواسيس يرحبون بقيام الجمهورية » .

رابعا : حاولت جريدة النور التخفيف من موجة الحماس المنقطع النظير التى اجتاحت الشعب . فسلطت الاضواء على مظاهرات شعب بريطانيا ضد القواعد الصاروخية واخبار اندونيسيا وامريكا الجنوبية ..وكان لهذا الموقف دلالته . وقد توجه مسؤولو الحزب الى المناطق بموجبه .

وعندما اقترب يوم الاستفتاء، خشيت اللجنة المركزية من انفضاح امرها وسخط الشعب. فوجدت نفسها مضطرة الى التأييد . ولكنها كانت تعارض. فما العمل ؟

لجأت القيادة البكداشية الى اسلوب مزدوج :

من جهة ، اصدرت اللجان المنطقية فى حلب وحمص والجزيرة وبقية المناطق بيانات دعت فيها الى الاشتراك فى الأستفتاء وتأييد الجمهورية وانتخاب الرئيس جمال عبد الناصر . بينما امتنعت اللجنة المركزية عن اصدار اى بيان بهذا الخصوص .

فلماذا ياترى ؟ لقد كان يكفى ان تصدر اللجنة المركزية بيانا واحدا شاملا يغنى عن بيانات اللجان المنطقية . فلماذا لجأ أعوان خالد بكداش الى هذا الاسلوب الملتوى ؟

لقد أعطى احد المسئولين تعليل هذا التناقض ، فقال: « اللجنة المركزية لا تؤيد الوحدة وانتخاب جمال عبد الناصر . والتأييد خطأ . وفى المستقبل سيوضع هذا الخطأ على عاتق اللجان المنطقية . »

ومن البديهى أن هذا الموقف يقوم على تناقض اساسى. فزعيم

الحزب ولجنته المركزية يعارضون الوحدة . ومنظمات الحزب تدعو لتأييد الوحدة !

ولكن انتهازية البكداشيين لم تبال فى يوم من الايام بمثل هذا التناقض الذى يعبر عن الروح اللامبدئية التامة التى تطبع كل تصرفات القيادة المركزية للحزب.

وبعد الاستفتاء ، قامت اللجنة المركزية بتراجع جزئى وموقت. ثم اشتد الدس من جديد واستعملت القيادة أساليب مبتكرة لهذا الغرض .

اولا بمناسبة قدوم وزير داخلية الجمهورية العربية المتحدة الى الاقليم السورى ، نشرت النور فى صفحتها الثالثة مقالا

« تاريخيا نظريا » (!!) عن ... الحجاج بن يوسف الثقفى « الرجل الذى أخمد ثورة فأقام ثورات ... » . نشرت المقال

بصورة مكشوفة مع عناوين واضحة القصد . وقد فهم المسؤولون المحليون القصد . وواجهوا منظماتهم على هذا الاساس ...

جريدة النور اكتشفت فجأة ضرورة التحدث عن التاريخ العربى القديم ..

ثانيا : قام عدد من مسؤولى الحزب بالدس الحقير على الشعب العربى فى مصر (١) واخذت جريدة النور تنشر يوميا

اخبار الجرائم فى الاقليم المصرى فى أعمدة خاصة .

جريدة النور التى لم تكن تهتم من قبل بالجرائم التى تقع فى سوريا - كما تقع فى جميع البلدان - اكتشفت فجأة الجرائم فى مصر ..

وتجدر الملاحظة الى أن هذه السياسة تحتوى على شطرين :

اشياء لا تكتب بل تقال وتنشر شفويا .

واشياء تكتب فى جريدة النور (او غيرها) ، ووظيفتها «تغطية» التوجيهات الشفوية بحيث تكون «مستندا» لهذه التوجيهات .

---

(١) على طريقة فاضل عباس المهداوى . (المؤلفان)

ذلك هو «تقسيم العمل» (!) وهو مبدأ أساسي في نشاط القيادة الانتهازية .

وكانت كل خطوة تخطوها الجمهورية العربية المتحدة في الميدان الداخلي (أو الخارجي) ضربة لكل الدعايات المضللة : صدر الدستور الموقت للجمهورية العربية المتحدة ، تكوين حكومة الجمهورية ، كشفت المؤامرة الاستعمارية ضد حياة الرئيس ، قوانين التعريفات الجمركية ، الغاء قانون العشائر ، تصفية شركة منهل ..

ولم يكن بامكان اللجنة المركزية أن تعارض صراحة كل هذه التدابير . فلزمت الصمت واضطرت احيانا الى «التأييد» .

ولكنها كثيرا ما كشفت عن أوراقها وعارضت بصراحة .

فشنت مثلا حملة شعواء في جريدة النور ضد التعريفات الجمركية التي كانت ترمي الى الحد من استيراد المواد الاستهلاكية الكمالية مع أن الجريدة نفسها نشرت قبل يومين أرقاما للدلالة على ضخامة كمية المواد الكمالية المستوردة من الغرب ! ..

وكانت زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للاتحاد السوفياتي ضربة أخرى لهذه الفئة الضالة الرعناء . وقد اضطرت جريدة النور الى نشر أخبار الرحلة . ولكنها كانت أقل الصحف حماسة في هذا المجال . كما كانت تلجأ الى اختصار الخطب وبترها وتشويهها .

وفي الفترة نفسها ، نقل خالد بكداش مواهبه الخطابية بين عواصم دول أوربا الشرقية . فاستغل مؤتمرات الاحزاب الشيوعية في هذه الدول للدس على بلاده بطرق شتى ..

بدأ الدس بالتهجم على الحياد الإيجابي .. ثم شمل كل شيء .

وفي شهر حزيران ١٩٥٨ ، القى خطابا طويلا في براغ ويه الحياد الايجابي والاصلاح الزراعي والدستور .

قال ان هنالك « اتجاها » الى الاصلاح الزراعى . وأن الامريكيين يؤيدون هذا الاتجاه !! وإن الاصلاح الزراعى ليس لصالح الفلاحين الفقراء بل لصالح المزارعين الاغنياء ! وان « جميع الخطوات نحو اصلاح زراعى » فى مصر وسوريا قد فشلت ! وانه من المستحيل تحقيق أى اصلاح زراعى الا بقيادة الحزب الشيوعى! ونجاح الاصلاح الزراعى فى ظل حكومة الجمهورية العربية المتحدة ونظامها يكون فاجعة اليمة لانه يؤدى الى ابعاد الفلاحين عن حليفتهم الطبيعية الطبقة العاملة » . وهذا معناه دعوة الحزب الشيوعى الى محاربة الاصلاح الزراعى (وكل اصلاح) لمنع نجاحه .

وهاجم دستور الجمهورية العربية المتحدة . فزعم ان هذا الدستور « معاد للديمقراطية » و « بعيد عن جميع مبادىء الديمقراطية » ملتقيا فى ذلك مع دعايات الاستعمار والصهيونية.

عندما اعلن الدستور قبل أشهر قليلة ، هاجمته جميع الصحف والاذاعات الاستعمارية والصهيونية واتهمته بالعداء للديمقراطية . فقامت جريدة الحزب الشيوعى فى بيروت « بالرد » على هذه ــ الدعاية المغرضة ــ ، واكتفت بتوجيه « بعض الانتقادات الايجابية البناءة » للدستور . ــ وكانت هذه الانتقادات سطحية وسخيفة بالطبع ، اذ هى لم توضع بروح علمية واقعية تستند على تحليل المرحلة التاريخية وحاجاتها ، بل وضعت بروح حقوقية فاژغة ولغرض الدس ــ ولم تمض اشهر قليلة حتى كشف البكداشيون عن وجههم الكالح وتبنوا جميع « الدعايات المغرضة » ورددوا جميع افتراءات اذاعة تل أبيب.

هاجم بكداش الحياد الايجابى والاصلاح الزراعى والدستور . ثم دعا ــ مرة أخرى ! ــ الى « الجبهة الوطنية » ، الى توحيد العمال والفلاحين وممثلى الاحزاب والشخصيات البرجوازية الوطنية المتنفذة .. ولكن لاى غرض ؟ وضد من ؟ .

ــ ضد الحياد الايجابى وسياسة عدم الانحياز ، ضد الاصلاح الزراعى والدستور والوحدة .

وقامت الثورة فى لبنان فزلزلت حكم العملاء . وقامت ثورة ١٤ تموز فى العـراق . وظهر حتى للعميان دور الوحـدة التاريخى العظيم .

وعاد خالد بكداش الى دمشق . وصدرت مجلة « قضايا السلم والاشـتراكية » عن الاحـزاب الشـيوعية فى براغ . ووصـل عـددها الاول (أيلول ١٩٥٨) الى دمشق ـ باللغتين الفرنسية والانكليزية .

وقرأ الناس فيهـــا ما قاله خالد بكداش فى براغ قبل أشهر . وسأله أحد الاشخاص عن رأيه فى الاصـلاح الزراعى . فتهرب خالد بكداش وهاجم .. وكالات الانباء الامريكية التى شـــوهت اقواله ! ...

ولكن المسألة ليست مانسبته الوكالات الامريكية لخالد بكداش بل ما كتبه ودونه خالد بكداش فى مجلة الاحـزاب الشـيوعية الصادرة فى براغ ! .

ووجه خالد بكداش أعضـاء اللجنــة المركزية وشـجعهم على المضى فى « نشر روح التـذمر » واسـتغلال كل شىء فى هـــذا السبيل .. حتى الجفاف ..

لقـد اعتقـــد خالد بكداش وانصاره أن الجو أصبح ملائمـا لضرب الوحدة . فازداد نشاط الحزب المعادى للوحدة فى أيلول وتشرين الاول والثـانى . وبذل جهده لتفرقة الصف الوطنى . فى نفس الوقت ازداد تآمر الحزب الشيوعى العراقى ضد ثورة ١٤ تموز وضـد الجبهة الوطنية فى عراق .

وبعـد اعتقـال عبد السلام عارف ثم رشـيد عالى الكيلانى وعـدد من ضـباط الثـورة ، استأسـد خالد بكداش وأعوانه واستكلبوا ، معتقدين ان أحلامهم قاربت أن تتحقق .

فكل شىء ملائم لهم : ضرب القوميين العـرب فى العـراق ، والتـــذمر المـزعوم فى الاقليم السـورى ، ضغط الاستعمار واسرائيـل ضـد الجمهـــورية العربية المتحدة الخ ..

واخـذوا يصرحون فى جهيع الاوسـاط : الوحـدة كارثة بالنسبة لسوريا ، يجب الرجوع عن الوحدة ، الجمهورية العربية انحازت الى الغرب ، يجب اطلاق حرية الاحزاب ...

وفى نفس الوقت ، عاد خالد بكداش فى تصريحـاته لبعض الصحف الى نغمة « الاتحـاد الفيدرالى » : برلمـان مركزى وبرلمانين محليين ..

ثم صرح نقولا شاوى لاحدى الصحف البيروتية ان الوحـدة كارثة بالنسبة لسورية . وعندما اتضح أمرهم ، أنكروا هـذا التصريح ، ثم اكدوا وهم ما زالوا يكررونه يوميـا مئـات المرات . فلماذا أنكروا ؟

وازداد سخط الشعب ضدهم يوما بعد يوم. خاصة بعد اعتقال ضباط الثورة فى العراق .

لقد كانوا يحلمون بأن يحكموا سوريا وان يفعلوا فى دمشـق وحلب كما فعـل اشقاؤهم فى بغداد والموصل وكركوك . اغراق الشعب فى بحر من الدماء ، جر الناس فى الشوارع وتعليقهم على الاعمدة ، تقتيل الاطفال والنساء والتمثيل بجثثهم ، ودفن الناس أحياء ...

فوضع الرئيس جمال عبـد الناصر حدا لهذه الاحلام المجرمة فى خـطابه فى عيـد النصر ببورسعيد حيث فضـح هؤلاء الانتهازيين الذين ينشرون الدعوة الانفصالية لحساب الصهيونية .

وهب الشعب ضد الخونة .. واعلنت الخلايا الشيوعية الباقية تأييدها لخطاب الرئيس جمـال عبد النـاصر وانسـحابها من الحزب واستنـكارها لمواقف الانفصاليين الخونة .. وبراءتها النهائية من الشيوعية .

وازدادت موجـة السخط فى الاقليم السورى وفى لبنان وفى جميع أنحاء الوطن العربى ... لم تستطع تلك الفئة ان تحقق

مآربها فى سوريا ولكن الشعب حملهـــا بحق مأساة العراق الشقيق •

وأخـيرا ••• خاتمة هـــذا التاريخ• الطويل من الخيانات •

تكلم رفيق رضا • رفيق رضا عضو قيادة الحزب منذ عام ١٩٣٢، ومندوبه الى فرنسا فى عام ١٩٣٧ــ ١٩٣٨ ومسئول منظمة دمشق والمساعد الا . لخالد بكداش •

فضح رفيق رضا سياســـة الحزب فى سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٥، وموقفه من معـــاهدة ١٩٣٦ ،وتأييده لسلـ لواء الاسكندرون ولاغتصاب فلسطين • وفضــح موقفه من الوحدة •

ازاح الستار عن رحلة فرج الله الحلو الى تل أبيب وكشف النقاب عن الاموال المقبوضة ثمن تأييد معاهدة ١٩٣٦ ، وفضح مصادر تمويل الحزب من الخارج •••

وتكلم مسؤولو الحزب الواحد تلو الآخر • تحركت ضمائرهم فعادوا الى أحضان الوطن •••

تكلم محمد حـــكيم وعدنان مازونى وراتب جبنـــه واليـان ديرانى وشحاده الخورى وعباس الصوص و . أبوشعر وخالد زقيق ومنير فرح واليـــاس أبو طاره وعبدالكريم محلمى وحسيب كيالى وشوقى بغــدادى وحسن صاصيلا وجبران حلال وسميره فرحه وسعيد حورانيه وصـلاح دهنى •••

مسؤولو دمشـــق وحمص واللاذقية وحماه الخ ••مسؤولو العمال والفلاحين والمثقفـــين والشباب والنساء •

كشفوا عن مواقف الحزب من الوحدة وفضحوا الاســـاليب الدنيئة التى خـــدمها فى محاربتها • كشفوا التضليـــل والكذب والنفاق فضحوا استغلال الثقافة واستغلال العواطف ••

فضحوا التحريض الطائفي والعنصري ضد الوحدة وضد الشعب • وفضحوا الالتقاء مع الاستعمار والصهيونية •

وكشف عبد الباقي الجمالي صاحب جريدة النور ومديرها عن تمويل الجريدة من الخارج • فضح التبعية المالية بالاضافة الى التبعية الفكرية والسياسية •

تلك هي النتيجة التي صار اليها الحزب الشيوعي السوري بارادة الشعب وارادة اعضائه ومسئوليه (١) •

أما الحزب الشيوعي اللبناني ••• الذي لا يبلغ عدد أعضائه ٥٠٠ شخص ، فهو يصدر جريدة يومية منذ ٧ أشهر بالاضافة إلى جريدته الاسبوعية والمطبوعات الاخرى ! انه يصدر هذه الصحف بأموال غير نظيفة •••

ولكن الشعب اللبناني ساخط على هذا الحزب الذي يمد يده لجميع أعداء القومية العربية في لبنان وخارج لبنان • ان قواعد هذا الحزب بدأت تتحرك ضد القادة المجرمين الخونة •••

***

النهاية التي آل اليها الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان بعد ٣٥ سنة من العمل نهاية محتومة.. نهاية كان يجب أن تكون .

---

(١) لابد من ملاحظة الفرق بين حالة الحزب الآن وحالته في عام ١٩٤٩ بعد مأساة فلسطين •

في الحالة الاولى : فقد الحزب معظم أعضائه . ولكن النواة القائدة ظلت كما هي • وبقيت القيادات المحلية وحولها بضع مئات من الاعضاء أما المسئولون الذين تركوا الحزب آنذاك ، فلم يبلغ عددهم أصابع اليد الواحدة ، ولم يشنوا أي حرب ضد قيادة الحزب ، بل بالعكس تعايشوا معها •••

أما الآن ، فقد تخلى عن الحزب جميع الاعضاء . يضاف اليهم جميع المسئولين المحليين تقريبا وبعض أفراد القيادة المركزية . وقد قام هؤلاء بعملية فضح واسعة كشفوا خلالها تاريخ الخيانة من ألفه الى يائه .

اننا نشهد فعلا نهاية التبعية والانتهازية والخيانة (المؤلفان)

فما هى أسباب هذه النهاية ؟ما هى الخصائص التاريخية للحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان ؟

أولا ـ ليس الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان ولم يكن فى يوم من الايام حزب الطبقة العاملة فمبادؤه ليست مبادىء الطبقة العاملة وسياسته ليست سياسة الطبقة العاملة بل سياسة انتهازية وصولية واستغلالية .

ولهذه الاسباب فقد ظلت قواه بين العمال محدودة ـ وقد ثبت ذلك فى انتخابات نقابات العمال فى عام ١٩٥٧ ـ كما أن قيادته ظلت بعيدة عن الطبقة العاملة . ونستطيع أن نؤكد انه لا يوجد عامل واحد فى اللجنة المركزية للحزب وفى معظم اللجان المنطقية والفرعية . أما مؤتمر العمال السوريين المزعوم الذى أسسته القيادة البكداشية لغرض الاستهلاك الخارجى بالدرجة الاولى، فهو منظمة وهمية تضم بضعة نقابيين حزبيين . ومن الجدير بالملاحظة ان « القائدين النقابيين البارزين » ابراهيم بكرى وخليل الحريرى اللذين يتحدثان زورا باسم العمال السوريين فى مؤتمرات براغ وفينا ، فليس لهما أية صلة بالطبقة العاملة من حيث المنشأ ولا من حيث العقلية والتفكير .

لقد خان الحزب الشيوعى السورى الطبقة العاملة على الدوام خان مصالحها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

فى عهد الانتداب الفرنسى ، دعا العمال الى التخلى عن النضال الوطنى والسير فى ركاب الاستعمار . وبعد زوال الانتداب، دعا العمال الى السير فى ركاب البرجوازية طبقا لبرنامجه الذى أسقط الاشتراكية من أهداف الحزب . ثم تذكر فجأة إنه « حزب الطبقة العاملة » ، وحاول دفع العمال فى اتجاهات متطرفة

تتعارض مع مصلحتهم ، وشن الحرب على تأميم الشركات الاجنبية بحجج مزيفة .

وفي ميدان النشاط النقابي، دعا الى تأييد العناصر الوصولية والمشبوهة ضد العناصر العمالية الشريفة ؛ وعمل على ايجاد طبقة من النقابيين البرجوازيين الطفيليين فوق العمال ، فأعاق بذلك نهوض الحركة النقابية في البلاد .

وكذلك خان الحزب مصلحة الفلاحين وجعل منهم مادة للاستغلال الدنيء . وبحسب مقتضيات سياسته العليا المنحرفة كان تارة « ينادي » بتوزيع الاراضي وتأمين الارض والمياه والبذار للفلاحين ، و « تحقيق اصلاح زراعي جذري كامل » ، ويحارب كل من لا يجاريه في الصراخ ، وتارة يتجاهل قضية الارض والمياه والبذار والمسألة الزراعية برمتها ، تحت ستار « الجبهة الوطنية » وعدم اغضاب .. الاقطاعية ، السند الاجتماعي الاول للاستعمار .

ولا عجب في أن قوى الحزب ظلت هزيلة تماما بين الفلاحين ، وخاصة الفقراء منهم . وقد أثبتت ذلك الانتخابات العامة في سنة ١٩٥٤ وانتخابات مصياف الفرعية في أواخر عام ١٩٥٧ .

وبهذا الصدد ، نلفت نظر القارىء الى نقطة هامة

يتصور البعض ان الحزب الشيوعي السوري كان يعمل « للثورة » من أجل استلام الحكم وانه لهذا الغرض كان يبني قواعد واسعة بين العمال والفلاحين .

هذا التصور خاطىء . فقد كان العمال والفلاحون بالنسبة للحزب أداة للتظاهر وعملت للاستغلال ولم يكونوا اداة او قوة للثورة .

فى الواقع ، ان نشاط القيادةالمركزية للحزب ، خاصة فى الاعوام الاخيرة ، لم يكن متوجهانحو ايجاد قاعدة شعبية ثورية، بل نحو خلق « جهاز للحكموالتبعية » ، جهاز من الموظفين والمرتزقة (تماما كما يفعل الاستعمار) . وقد عمل بكداش على خلق وتربية هذا الجهاز عنطريقالرحلات والبعثاتوالتعاون مع شتى العناصر السياسيةوالاجتماعية ، واعد لاستلام الحكم « من فوق » . - بعدأن أراد تسلم الحكم عن طريق حراب الاجنبى مباشرة ، حراب« فرنسا الديمقراطية » .

اما العمال القليلون الذينخدعوا مؤقتا ، فمهمتهم اضفاء « المظهر الشعبى » على«الحركة»وعلى الحكم الجديد .

ثانيا - ليس الحزب الشيوعىفى سوريا ولبنان ولم يكن فى يوم من الايام حزبا عربيا . فالافكارالتى نادى بها والسياسة التى سار عليها معاديةللعرب والعروبةاذ تبنى هذا الحزب نظريا فكرة « الامة السورية » وحارب فكرةالقومية العربية ، بينما ساعد عمليا على سلخ لواءالاسكندرونواغتصاب فلسطين ، وأيدفرنسة الجزائر الخ ..

وهذه الافكار وتلك السياسةالمعادية للعروبة ترتبط الى حد كبير بمنشأ الحزب وتركيب قيادته . فقد نشأ الحزب على يد أشخاص غريبين عن القوميةالعربية وكان سكرتيره الاول يهوديا . ثم تسلطت على قيادتهعناصر لئيمة وشرسة تحقد على العرب والعروبة وتسخر منالشعب العربى ومن فكرةالقومية العربية .

اما العناصر العربية القليلةالتى وصلت الى قيادة الحزب

---

(١) هذا ينطبق ايضا على الحزبينالشيوعيين العراقى والمصرى .
(المؤلفان)

فقد اختارها خالدبكداش بنفسه، ومعظمها من الوصوليين المرتزقة العديمى الاخلاق .

ثالثا ــ ليس الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان ولم يكن حزبا وطنيا . فقد وقف ضد الحركة الوطنية فى ١٩٣٣ ــ ١٩٣٥ ، وأيد سياسة الانتداب الفرنسي والمعاهدة الفرنسية السورية فى عام ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ ، وأيد سلخ لواء الاسكندرون ، ووافق على بقاء الانتداب البريطانى فى فلسطين ووقف موقفا مخزيا ابان معركة الجلاء ، وتعاون مع عناصر الخيانة فى عام ١٩٧٤ ، وأيد تقسيم فلسطين واغتصابها ، وشن الحرب على القوى الوطنية فى الداخل ، وحارب ثورة ٢٣ يوليو وحارب الوحدة بين سوريا ومصر ملتقيا فى كل مرة مع أعداء الوطن، مع الاستعمار والصهيونية .

ولم تكتف القيادة البكداشية بالكيد للعرب والعروبة ، بل عملت ايضا على محاربة الوحدة الوطنية فى داخل سوريا .

لقد سلك الحزب الشيوعى السورى طريق القوميين السوريين فى عمله من أجل تفتيت الوحدة القومية على الصعيد العربى العام ومن اجل تفكيك الوحدة الوطنية على الصعيد السورى الخاص . فكان نصيبه كنصيب القوميين السوريين : الافلاس والدمار فى جو من السخط الشامل .

رابعا ــ ليس الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان ولم يكن فى يوم من الايام حزبا مخلصا حتى لمبادئه الشيوعية . وشعاره الاساسى فى المجال المبدئى والسياسى هو الانتهازية والتبعية للخارج أما ايديولوجيته ــ اذا كان ممكنا التحدث عن أيديولوجية ــ فهى أيديولوجية الانتهازية المكيفة مع اغراض الصهيونية ودوائر الاستخبارات الفرنسية والبريطانية والاستعمارية بشكل علم .

ان ايديولوجية خالد بكداش كيفها هو واعوانه ومعلموه مع مقتضيات السياسة الاستعمارية والصهيونية : العداء ــ النظرى العملى ــ للقومية العربية ، التعاون مع الانتداب الفرنسى والبريطانى من اجل « تكون الامة السورية » ومن اجل فلسطين ، تسليم الوطن العربى (سوريا وفلسطين والسعودية والمغرب الخ ...) للاستعمار الفرنسى والبريطانى والاميركى ، بحجة مقاومة الفاشستية ، خيانة الاسكندرون وفلسطين تحت ستار « الاممية » ، محاربة الوحدة من اجل « الحريات الديمقراطية » ...

خامسا ــ قيادة الحزب الشيوعى السورى ــ اللبنانى اداة طيعة بيد الاستعمار والصهيونية براسها عميل عتيق خالد بكداش تربى على ايدى الاستعمار ، فحافظ عليه هذا الاستعمار وصانه كما تصان حدقة العين .

وبهذا الخصوص نريد ان نلفت انتباه القارىء الى الامر التالى :

عندما اطلعنا لاول مرة على كتاب طريق الاستقلال فى شباط ١٩٥٨ ، دهشنا لهذا الاكتشاف .. وعندما حصلنا من احد الشيوعيين القدامى على مجموعة جريدة صوت الشعب (وهى سجل كامل تقريبا لمواقف الخيانة) ازدادت دهشتنا الى ابعد حد .

لم نكن نتصور مثل هذه الامور : الدعوة اليومية للتعاون مع فرنسا ، خيانة اللواء ، الالتقاء بين سليم عبود وهربرت صموئيل ، الثناء على شركات النفط الاميركية ..

لم نكن نتصور هذه الخيانات الصريحة المكشوفة .

كنا فى خريف ١٩٥٨ ، فى وقت ازداد فيه تآمر هذه الطغمة فى الاقليم السورى والعراق . وعدنا بالذاكرة الى قبل عام وعامين وثلاثة أعوام .

كانت كل دعاية الاستعمار فى فترة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ موجهة ـ ظاهرا ـ ضد الحزب الشيوعى السورى وضد خالد بكداش .

وخالد بكداش يجند قوى الحزب لحماية شخصه اثناء دخوله الى المجلس النيابى . صوته يلعلع ضد الاحلاف ومبدأ ايزنهاور . وابواق الاستعمار تصرح ضد « الخطر الشيوعى » .

ابواق الرجعية فى الداخل تثير مسألة حضور خالد بكداش المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفياتى بوجود مندوبى الحزب الشيوعى الاسرائيلى ومنظمات الحزب فى جميع المناطق تجند لاستقبال الزعيم العائد من موسكو فى المطار ..

ابواق الاستعمار تثير ـ ظاهرا ـ كل مالديها ضد خالد بكداش وحزبه ... ظاهرا !

ولكن لو كانوا فعلا يريدون تحطيم خالد بكداش ، كان يكفيهم ان يكشفوا عن كتاباته فى عهد الانتداب ، عن كتاب طريق الاستقلال ومحتويات صوت الشعب وغيرها ... بالوثائق والارقام !.

الم يكن لديهم هذه الوثائق الدامغة التى تدين بكداش وزمرته بالخيانة ؟

كيف لا ودوائر الاستخبارات الفرنسية كانت تحكم سوريا ولبنان ؟

اذا استطعنا نحن ان نعثر على مجموعة غير كاملة من صوت

الشـعب ، فلا شـك ان دوائر الاستخبارات الفرنسية والغربية لديهـا مجموعات ومجمـوعات كاملة .

اذا كان لدينـا نحـن بعض الوثائق فلا شك ان لدى الدوائر الاستعمارية كل الوثائق .

لقد كان الاسـتعمار الفرنسي يحكم سوريا . وجريدة صـوت الشعب تذهب يوميا الى المفوض السامى الفرنسى .

بل أكثر من ذلك كانت سياسة الحزب قائمة على التعاون الوثيق الانتداب ... فهنالك وثائق ووثائق غير جريدة صوت الشعب!

فلماذا لم يكشف الاستعمار عن حقيقـة بكـداش وأعوانه فى سنة ١٩٥٦ لو كان فعـلا يريد تحطيمهم ؟

الحقيقة انه لايريد تحطيمهم . لانهم عملاؤه . انه يحافظ عليهم ويصونهم .

انهم « يهاجمونه » . لامانع . ولا بأس . يجب أن يهاجموه كى ينموا رصيدهم .. حتى يدعموه بكل قواهم فى اللحظة الحاسمة .

ولم تتأخر هذه اللحظة .

جاءت الوحـدة وجاءت ثورة ١٤ تمـوز . فوقف الحـزب الشيوعى السورى (والعراقى) ضد الوحدة وضـد ثورة ١٤ تموز .

انه مازال « يصرخ » ضـد الاستعمار والصهيونية . لامانع . الصراخ مفيد ، لانه يغطى الالتقاء العملى الفعلى . فالمهم هو هذا الالتقاء ..

فهـــرست

صفحة

الثمن ٣ قروش